سلسلة من خطب المسجد النبوي ١

التوحيد

من خطب المسجد النبوي



تأليف

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف


التوحيد
من خطب المسجد النبوي

ⓒ عبد المحسن بن محمد القاسم ١٤٤٣هـ.
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القاسم، عبد المحسن بن محمد
التوحيد من خطب المسجد النبوي. / عبد المحسن بن محمد القاسم - ط٢. . - المدينة المنورة، ١٤٤٣هـ
ص ١٣٤، ١٧ x ٢٤سم
ردمك: ٨-٨٤٩-٠٤-٦٠٣-٩٧٨
١ـ التوحيد ٢- العقيدة الإسلامية أ. العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٤٤٣/٦٨٩٩

رقم الإيداع: ١٤٤٣/٦٨٩٩
ردمك: ٨-٨٤٩-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الثَّانية
١٤٤٣ هـ ــ ٢٠٢٢م



تأليف

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

يمكن تحميل هذه الخطب أو الاستماع لها على الرَّابط:

a-alqasim.com/khotab/



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى العِبَادِ، وَلِأَجْلِهِ خَلَقَ اللَّهُ الجِنَّ وَالإِنْسَ، وَبِهِ أَرْسَلَ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ، وَجَعَلَ الجَنَّةَ جَزَاءَ أَهْلِهِ، وَلِعَظِيمِ شَأْنِهِ كَانَ أَعْظَمَ مَا يُدْعَى إِلَيْهِ الخَلْقُ.

وَلِأَهَمِّيَّةِ هَذَا الأَصْلِ أَلْقَيْتُ خُطَباً عَنْهُ فِي المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، ثُمَّ رَتَّبْتُهَا فِي هَذَا الكِتَابِ، وَسَمَّيْتُهُ: «**التَّوْحِيدُ؛ مِنْ خُطَبِ المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ**»، وَقَدْ بَلَغَتْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ (١٤) خُطْبَةً.

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ، وَيَجْعَلَهُ خَالِصاً لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



أَهمِّيَّةُ التَّوحِيد[١]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فبالتَّقوى تَسْتَنِيرُ البصائرُ والقلوبُ، وتُحَطُّ الخطايا والذُّنوب.

أيُّها المسلمون:

لقد مَنَّ اللَّه علينا بدين موافقٍ للفِطَر القويمةِ والعقولِ السَّليمة، صالحٍ لكلِّ زمان ومكان، جامعٍ بين العلمِ والعبادة، وبين القولِ والعملِ والاعتقاد، لا يقبلُ اللَّهُ من الخلائق ديناً سواه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

في هذا الدِّين كلمةٌ مَنْ قالها صادقاً من قلبه وعَمِل بِمقتضاها مبتغياً بذلك وجهَ اللَّه؛ دخل الجنَّةَ بِلا حسابٍ ولا عذابٍ: «لا إله إِلَّا اللَّهُ» هي

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الرابع والعشرين من شهر ذي الحِجة، سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

أَطيبُ الكلام، وأفضلُ الأعمال، وأعلى شُعَبِ الإيمان، مَنْ قالها حقّاً ارْتَقَى إلى أرفعِ منازلِ الدِّين، والنُّطقُ بها لا يكفي للدخول في الإسلام أو البقاءِ عليه، بل يجبُ مع ذلك أن يكون المسلمُ عالماً بمعناها عاملاً بمقتضاها؛ مِن نَفْيِ الشِّرك وإثبات الوحدانيَّة للَّه، معتقداً صِحَّة ما تضمَّنَتْهُ واقتضته.

والمسلمُ صادقٌ في إيمانه وعقيدته، مُسْتَسْلمٌ للَّه في الحكمِ والأمرِ والشَّرعِ والقدر، لا يُنْزِلُ حوائجَه إلَّا باللَّه، ولا يَطلُبُ تفريجَ كروبه إلَّا منه سبحانه، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ودعاؤُه وحدَه سبحانه عبادةٌ جليلةٌ مِنْ أفضلِ العبادات؛ قال ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ» (رواه أحمد)، ويقول ابن عبَّاس رضي الله عنهما: «أَفْضَلُ العِبَادَةِ: الدُّعَاءُ».

وإذا حلَّتْ بك الحوادثُ والكروب، وأُغلقت في وجهِك المسالكُ والدُّروب؛ نادِ العظيمَ؛ فإنَّ مَنْ سأله أعطاه، ومَنْ لَاذَ به حَماه؛ يقول عليه الصَّلاة والسَّلام لابن عبَّاس رضي الله عنهما: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ» (رواه الترمذي).

ولا تَستنْكِفْ عن سؤالِ ربِّك ما قلَّ من الأمور؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «سَلُوا اللَّهَ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الشِّسْعَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ إِنْ لَمْ يُيَسِّرْهُ لَمْ يَتَيَسَّرْ» (رواه

أبو يعلى)، وأمَّا الميِّتُ والغائبُ فإِنَّه لا يَمْلِك لنفسه نفعاً ولا ضَرّاً فضلاً عن نَفْعِ غيره، والميِّتُ مُحتاجٌ إلى من يدعو له كما أمرنا النَّبيُّ ﷺ إذا زُرْنا قُبورَ المسلمين أن نَترحَّمَ عليهم وندعوَ لهم لا أن يُسْتَغَاثَ بهم.

وربُّنا سبحانه مُتَّصفٌ بالسَّمع والبصر، ومِن القَدْحِ في رُبُوبِيَّته: التَّنقُّصُ لألوهيَّته؛ أن تَجعلَ بينك وبينه وسائطَ في الدُّعاء والمسألة، وهو القائل: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾، وممَّا يُناقِضُ كلمةَ الإخلاص إراقةُ الدِّماء لغير اللَّه: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾.

والطَّوافُ بالبيتِ العتيقِ عبادةٌ مُتضمِّنةٌ للذُّلِّ والخُضوعِ لربِّ البيت: ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾، والطَّوافُ لغير اللَّهِ مِن الأضرحةِ والقبورِ مُوجِبٌ للحرمان من الجنَّة.

والحَلِفُ باللَّه صِدْقاً في مَواطنِ الحاجةِ مِنْ تَعظيم ربِّ العالَمِين، والحلفُ بغيره استخفافٌ بجَنَابِ الباري ﷻ؛ لذلك يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ؛ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**» (رواه الترمذي).

ومَنِ اتَّخذَ حُرُوزاً؛ لِدفْعِ العين عنه، أو جلب النَّفع له؛ فقد دعا عليه المصطفى ﷺ؛ بأن لا يُحقِّقَ اللَّهُ له مُبتغاه، وبأن يُصابَ بضدِّ ما قَصَدَه، قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ**» (رواه أحمد)، وقد أمسك النَّبيُّ ﷺ عن بيعة مَنْ علَّق التَّمائمَ؛ يقولُ عُقْبَةُ بن عامرٍ الجُهنيُّ رضي الله عنه: «أَقْبَلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَهْطٌ، فَبَايَعَ تِسْعَةً وَأَمْسَكَ عَنْ

وَاحِدٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! بَايَعْتَ تِسْعَةً وَتَرَكْتَ هَذَا؟ قَالَ: **إِنَّ عَلَيْهِ تَمِيمَةً؛** فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَقَطَعَهَا فَبَايَعَهُ، وَقَالَ: **مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَقَدْ أَشْرَكَ**» (رواه أحمد).

فَعِندَ الشَّدائدِ والأحزانِ الجأْ إلى الواحدِ الدَّيانِ، فَنِعْمَ المُجيبُ هُو، ومَنْ تَعَلَّقَتْ نَفْسُه باللَّه، وأنزل به حوائجه والْتَجَأَ إليه وفوَّضَ أمرَه كلَّه إليه؛ كفاه كلَّ سُؤْلِه، ويسَّرَ له كلَّ عسير، ومَنْ تعلَّق بغيره أو سكن إلى عِلْمِهِ وعَقْلِه وتمائِمه، واعتمد على حوله وقُوَّته؛ وَكَلَهُ اللَّه إلى ذلك وَخَذَلَهُ، قال في تيسيرِ العزيزِ الحميد: «وَهَذَا مَعْرُوفٌ بِالنُّصُوصِ وَالتَّجَارِبِ».

ومِنْ مَعَاوِلِ هَدْمِ الدِّين: إتْيانُ السحَرة والمُشعوذين، وسُؤالُ الكُهَّان والعرَّافين؛ قال ﷻ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، وفي الحديث: «**مَنْ أَتَى كَاهِناً أَوْ عَرَّافاً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**» (رواه أحمد).

ومَنْ سألَ السَّحَرةَ الكَيْدَ بالآخَرين، عاد وبالُ مَكْرِه عليه؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾، والظُّلْمة لا تُدفَعُ بالظُّلمة، ودَهْماء السِّحرِ يُدفعُ بِنور القرآنِ لا بسحرٍ مثلِه ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

فحافظْ - أيُّها المسلمُ - على عَقيدتِك؛ فهي أَنْفَسُ ما تَمْلِك، وأعزُّ ما تدَّخر، والشرك يُطْفِئُ نورَ الفِطرةِ، وهو سببُ الشقاءِ وتَسَلُّطِ الأعداء.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه على إحسانِه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

فالرُّكنُ الثَّاني بعد الشَّهادتَين: الصَّلاةُ، وهي أوَّلُ ما يُحاسَبُ عنه العبدُ يومَ القيامة، فلا تَتَهاونْ بها معَ جماعةِ المسلمين، ولا تُؤْثِرِ الكسلَ على طاعةِ ربِّ العالمين، ولا تَزْهَدْ فيما أعدَّه اللَّه للمحافظين عليها مِن جَزِيلِ الأُعْطِيات، وعلى قَدْرِ صِلَةِ العَبدِ بربِّه تَنفَتِحُ له الخيراتُ، وتَجَنَّبِ الذُّنوبَ والأوزارَ فإنَّها تُثْقِلُ عليك الطَّاعات.

وفي الدَّعوة إلى اللَّه إعزازٌ لِدِين اللَّه، واقتداءٌ بالأنبياء والمرسلين، وهي أحسنُ القول وأكرمُه، وتَحَسَّسِ الدَّاءَ، وَضَعِ الدَّواءَ المناسبَ له، واعْرِفْ حَالَ المَدْعُوِّين وما يَحْتَاجون إليه، وتَحَمَّلْ هَمَّ الناس ولا تُحَمِّلِ الناسَ هُمُومَك.

وأَكْثِرْ من التَّوبةِ والاستغفار، فالعِبرةُ بِكمالِ النِّهايةِ لا بنقصِ البداية، وآيةُ قَبُولِ الحسنةِ: إتباعُ الحسنةِ الحسنةَ، يقولُ قتادةُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ هَذَا القُرْآنَ يَدُلُّكُمْ عَلَى دَائِكُمْ وَدَوَائِكُمْ، فَأَمَّا دَاؤُكُمْ فَالذُّنُوبُ، وَأَمَّا

دَوَاؤُكُمْ فَالِاسْتِغْفَارُ»، وهو سببُ دخولِ الجنَّات، وزيادةِ القوَّةِ والمتاعِ الحسنِ، ودفعِ البلاء، يقولُ أبو المِنْهالِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا جَاوَرَ عَبْدٌ فِي قَبْرِهِ مِنْ جَارٍ أَحَبَّ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ».

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

التَّمسُّك بالتَّوحِيدِ[(١)]

الحمدُ للَّه المتفرِّدِ بالكمالِ والبقاء، والعزِّ والكبرياء، الموصوفِ بأحسن الصِّفاتِ والأسماء، المنزَّهِ عن الأشباه والنُّظَرَاء، أحمدُه سبحانه على ما أَسْدَى وأَوْلى.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، عالمُ السِّرِّ والنَّجوى.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، المبعوثُ بالمَحجَّةِ البيضاءِ والشَّريعةِ الغَرَّاء، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه الأتقياء، صلاةً وسلاماً دائِمَين مُتلازِمَين إلى يوم البعث والجزاء.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّهَ - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واعمَلُوا ليومٍ تَنكَشِفُ فيه السَّرائر، وتَظْهَرُ فيه مُخَبَّآتُ الصُّدورِ والضَّمائر.

أيُّها المسلمون:

لقد كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحدةً على الحقِّ بما أَودعَ اللَّه فيهم من فطرةِ الإسلام، وبما عَهِد إليهم مِنَ الهدى والبيان، فلمَّا طالَ عليهم الأَمَدُ اندَثرت عندهم معالمُ الحَنِيفِيَّة، وَسَرَت فيهم شوائبُ لوَّثت العقيدة

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الرابع والعشرين من شهر ذي القَعدة، سنة تسع عشْرة وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وكدَّرت صفاءَها ونقاءَها، فوقعوا في الشِّرك وصرفوا أنواعاً من العبادة لغير اللَّه، فتَمَزَّقت وحدتُهم واختلفت كلمتُهم، فبعث اللَّه النَّبيِّين مُبشِّرين ومنذرين؛ لئلا يكونَ للنَّاس على اللَّه حُجَّةٌ بعدَ الرُّسل، وبُعِثَ نبيُّنا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم إلى أُمَّةٍ كانت تَعيشُ في جاهليةٍ جهلاء، وضلالةٍ عمياء؛ الشِّركُ أساسُ دينِها، والأوثان أربابُها وساداتُها، فدعاهم إلى الدِّين الحنيف الذي قامت عليه الأدلةُ وأوضحتْه الآياتُ وأثبتَتْه البراهينُ.

والعقيدةُ - عبادَ اللَّه - يُخَاطَبُ بها المؤمنون؛ ليزدادوا إيماناً معَ إيمانِهم؛ كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾، وليطمئنوا إلى تحقيقِ دِينِهم وليحْذَروا النَّقصَ أو الخَلَلَ فيه؛ بل لقد خاطبَ اللَّهُ أنبياءَه ورسلَه بِنَبْذِ الشِّركِ والبراءةِ منهُ ومِنْ أهلِه - وحاشاهم أن يفعلوا ذلك -؛ فقال ﷻ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾، وقال ﷻ لِصَفْوَةِ خلقِه مُحمَّدٍ ﷺ: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، وقال له أيضاً: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾.

وخُوطبَ بِها أهلُ الضَّلالة لِيَسْلُكُوا طريق الهدى؛ فقال جلَّ شأنه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

ولا غَرْوَ في ذلك - أيُّها المسلمون -؛ فإفرادُ اللَّه بالعبادةِ أصلُ الدِّينِ ومِلاكُ الأمر، عليه نُصِبَتِ القِبْلَةُ وأُسِّسَت عليه المِلَّة، إنه أولُ أمرٍ في كتاب اللَّه، والنَّهي عن الشِّركِ أوَّلُ نهي في كتابه؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

والدُّخولُ في دين اللَّه لا يَصِحُّ إلَّا بإعلانِ وَحدانيَّة اللَّه، وهو آخِرُ ما يَخرجُ به المسلمُ من الدُّنيا؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» (رواه مسلم)، الوقوعُ في ضدِّه أعظمُ من قتلِ الأولاد، يقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ اللَّهِ أَكْبَرُ؟ قَالَ: **أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدّاً وَهُوَ خَلَقَكَ**، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**» (متفق عليه)؛ لذا تأكَّد النَّهيُ عن الشِّركِ في القرآن وتكرَّرَ الأمرُ بالتَّوحيد؛ أبدى اللَّهُ فيه وأعاد، وضربَ لذلك الأمثال.

والأمرُ بعبادةِ اللَّه أولُ دعوةِ الرُّسل؛ بَدَأَ الخليلُ دعوتَه لأبيه بذلك: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾، ودعا نبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ النَّاسَ إلى التَّوحيدِ عشرَ سنين قبلَ فرضِ الفرائض تعظيماً لشأنِه.

وأرشدَ ﷺ الدُّعاةَ إلى أن يكونَ الأمرُ بالتَّوحيد أوَّلَ دعوتِهم، يقولُ النَّبيُّ ﷺ لمعاذٍ رضي الله عنه لمَّا بَعثَهُ إلى اليمن: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ؛ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ**» (متفق عليه).

وإمامُ المُوحِّدين إبراهيمُ عليه السلام دعا ربَّه بقوله: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾، قال إبراهيمُ التَّيمي رحمه الله: «وَمَنْ يَأمَنُ مِنَ البَلَاءِ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ؟!».

ولقد وصَّى الأنبياءُ بَنِيهم بالثَّباتِ على الدِّين الصَّحيح والعقيدةِ الصَّافية حتى الممات ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، وعنه سأل الأنبياءُ ذرِّيَّاتِهم وهم على فراشِ الموت ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

أيُّها المسلمون:

الهدايةُ أجلُّ المطالب، ونيلُها أشرفُ المواهب، وسلامةُ المعتَقد؛ الملاذُ الآمنُ عند الشَّدائد: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾، والالتجاءُ إلى اللَّهِ وحدَه هو السَّبيلُ عند طُوفانِ الفِتَنِ والمِحَن والكروب؛ قال اللَّه عز وجل: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

نَقاءُ العقيدةِ يُصحِّحُ النيَّةَ، ويُلجِمُ الهوى ويُبارِكُ في العملِ ويُخلِّدُ الذِّكرَ؛ فأين سيرةُ أبي جهلٍ من أبي بكر؟! وأين بلالٌ في النَّسب من أبي لهب؟! خسارةُ الدِّين لا تُقبلُ فيها الفديةُ ولو من ذهبٍ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾.

أيُّها المسلمون:

مِنْ أجْلِ التَّوحيدِ بُني بيتُ اللَّه العتيقُ، تَتَعاقبُ الأجيالُ على حجِّه، ويَتنافسُ المسلمون في بلوغِ رحابِه؛ ففي جوارِه الإيمانُ وفي رحابِه الأمنُ والاطمئنان ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾، وفي شِعارِ الحجِّ نَفيُ الشَّريكِ عن اللَّه: «**لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ**»، وخيرُ دعاءِ يومِ عرفةَ: رفعُ التَّوحيد؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» (رواه الترمذي).

والتَّوحيدُ الخالصُ هو لُبَابُ الرِّسالاتِ السَّماويةِ كلِّها، وأساسُ المِلَّة، وهو الحقيقةُ التي علينا أن نَغارَ عليها ونَصونَها من كلِّ شائبة؛ قال اللَّه سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

عبادَ اللَّه:

على كَلِمةِ الإخلاصِ والمِلَّةِ أقامَ المصطفى ﷺ دعوتَه، وجَعلَها إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ باقيةً في عَقِبِه، وما نَطقَ النَّاطقون أَحْمدَ مِنْ «لا إله إلَّا اللَّه»؛ العملُ بها ثَمنُ الجَنَّة، لو وُزِنتْ بالسَّمواتِ والأرضِ لَرَجَحتْ بِهنَّ، قال ابنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ مِنَ العِبَادِ نِعْمَةً أَعْظَمَ مِنْ أَنْ عَرَّفَهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

هذا، وإنَّ نُطْقَ اللِّسانِ بِها لا يُجدِي إلَّا لِمَنْ عَرَف مَدلولها نَفياً وإثباتاً، وحقَّق شُروطَها بالعلمِ واليقينِ بمعناها، والإخلاصِ والصِّدقِ بالعمل بها، والمَحبَّةِ والانقيادِ والقَبولِ لِمَا دلَّت عليه، والكفرِ بما يُعبد من دون اللَّه.

أيُّها المسلمون:

التَّوحِيدُ والشِّركُ: ضِدَّان؛ لا يجتمعانِ - كاللَّيلِ والنَّهارِ -، فمتى وُجِدَ الشِّركُ انتفى الإيمان.

ولقد شرَّفَك ربُّك وصانك عن إذلالِ قلبِك ووجهِك لغيره، وهو يدعوك إلى الإقبالِ إليه؛ فَوَجِّهْ قلبَك إليه وحدَه، ولا تَخفِضْ طرْفَك إلى الثَّرى، ولا تدعُ غيرَ ربِّ الأرضِ والسَّماء، وأين مَنْ يدعو الحيَّ الذي لا يموتُ ممَّن يدعو ميتاً ويَتعلَّق بالرَّمِيم والعظام النَّخِرة في القبور؟!

أيُّها المسلم:

إيَّاكَ والذَّبحَ لغير اللَّه، فإنَّ الذَّبحَ عبادةٌ للَّه وحدَه، والذَّبحَ لغيره شركٌ؛ فاللَّهُ ربُّك الذي خَلقَك وهو الذي رَزَقَك الحيوانَ الذي تَذْبَحُه؛ فلا تَنحرْه إلَّا لِمَنْ خَلقَك وخَلَقَه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَـرْ﴾.

ولا تَحلفْ إلَّا باللَّهِ ﷻ؛ فاللَّهُ الذي أنطقَك، فاشكره وحدَه ولا تَحلفْ بِغيره؛ فلا تَحلِف بنبيٍّ ولا وليٍّ ولا بِنعمةٍ ولا بحياةِ مخلوق؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغيرِ اللَّهِ؛ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ» (رواه الترمذي).

والحِلَقُ والخُيوط والتَّمائمُ مخلوقةٌ جامدة، وأنت مخلوق حيّ، فَارْبَأْ بنفسِك أن تَخْفِضَ من شأنِك بعد أن أعزَّك اللَّهُ ورَفَعَك، لا تَلْجأْ إلى جَمادٍ فتَحْملَه على صدرِك أو ساعِدِك بدعوى دفع الشَّرِّ وجَلْبِ الخير ودَرْءِ العين واللَّهُ تعالى يقول: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ﴾، ويقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَقَدْ أَشْرَكَ**» (رواه أحمد)، وتَعلَّقْ به وحدَه وفَوِّضْ جميعَ أُمورِك إليه.

أيُّها المسلمون:

لقد جَهِل بعضُ النَّاسِ الحكمةَ التي مِنْ أجلِها خُلِقوا، فَتَقَاذَفَتْهُم الأهواءُ واستولت عليهم الفِتَنُ والأَدواء، فافْتُتِن بعضُهم بالسَّحَرة والمُشَعْوِذِين والأَفَّاكِين، بدعوى مُكاشفة الغيبِ والتَّطلُّعِ إلى المُستقبَل، ولم يَجْنُوا من وراء ذلك إلَّا التَّضليل وبَعثرةَ الأموالِ في الباطل، وقد أبانَ اللَّهُ الحقَّ في ذلك بقوله: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾، ويقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ أَتَى كَاهِناً أَوْ عَرَّافاً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**» (رواه أحمد).

وافتُتِن بعضُ النَّاسِ بما يُسمُّونه الطَّالعَ والأَبْراج، والحظَّ وتحضيرَ الأرواحِ، وقراءةَ الكفِّ؛ فأُصيبوا بِسَيل الأوهام وعدمِ الرِّضا بالقَدَر، قال ﷻ: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾.

عبادَ اللَّه:

الإخلاصُ تاجُ العمل؛ ومَنْ أشركَ معَ اللَّهِ غيرَه فاللَّهُ أغنى

الأغنياءِ عن الشِّركِ ولا يرضى لعباده الكفرَ، فيا ويح المُرَائين! لا للدُّنيا جَمَعُوا ولا للآخرة عَمِلوا، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**» (متفق عليه).

لقد ضاعت آمالُ المُرَائِين، وخاب سَعْيُهم، فُضِحوا في الدُّنيا، ولم يَجِدُوا لهم في الآخرة جزاءً حسناً، فاحذرِ الرِّياءَ والسُّمْعَةَ؛ فإنَّ أوَّلَ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يومَ القيامةِ المُرَاؤُون بأعمالهم.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه الذي بنعمته اهتدى المهتدون، وبعدلِهِ ضلَّ الضَّالُّون، أَحْمدُه سبحانه حَمْدَ عبدٍ نزَّه ربَّه عمَّا يقولُ الظَّالمون.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وسبحان اللَّهِ ربِّ العرشِ عمَّا يصفون.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه وخليلُه، الصَّادقُ المأمون، اللَّهم صلِّ وسلِّم عليه وعلى آله وأصحابِه الذين هم بهديه مستمسِكون، وعلى هديه سائرون.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

فليسَ الإيمانُ بِضاعةً مُزْجَاةً أو مجرَّد دعوى وألقاب، إنَّما الإيمان الحقّ: اعتقادٌ سليم، وعملٌ صحيح، ولاءٌ وبَرَاء، مظهَرٌ ومخبَر، بذلٌ للنَّدى، وكفٌّ عن الأذى.

وتحقيقُ التَّوحيدِ يحتاجُ إلى يَقَظَةٍ قَلْبِيَّةٍ دائِبَةٍ دائمةٍ، تَنْفِي عن النَّفْس كلَّ خاطرة تَقْدَحُ في العُبوديَّة للَّه.

ومَنْ وقع في مهاوي الشِّركِ الأكبرِ؛ فطلب مِنَ الموتى زوالَ فقرٍ أو مرضٍ، أو طلَبَ منهم جَلْبَ نَفْعٍ - كَحُصُولِ مالٍ أو ولد -، أو استعانَ بأصحابِ الأَضرحةِ والمقبورين، أو طافَ أو نَحَرَ أو نذر لها؛ فقد هَضَم جَنَابَ الرُّبوبيَّة، وَتَنَقَّصَ الألوهيَّة، وأساءَ الظَّنَّ بِرَبِّ البَرِيَّة،

وارتكب أعظمَ ذنبٍ عند اللَّه، وحُرِّمت عليه الجنَّة، وخُلِّدَ في النَّار؛ يقولُ ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾.

فاسلُكْ مسلَكَ الحقِّ، وانهَجْ منهَجَ الرُّشد، واجتهدْ في المحافظة على عقيدتك؛ فإنه لا يُنْجِي من عذابِ اللَّهِ إلَّا اللَّهُ، ولا يُنالُ ما عند اللَّهِ إلَّا بالإخلاصِ له وحدَه وبما شَرَعَ لعباده أنْ يَتْقَرَّبوا به إليه.

والتَّوحِيدُ بابٌ للأمل عند ظُلمةِ الحياة، ولن تَنالَ مُرادَك حتى تُفرِدَ الواحد الأحدَ بِجميعِ أقوالِك وأعمالِك؛ فهو الَّذي يَبعثُك ويُحَاسِبُك على عَمَلِك: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾، وكلُّ النَّاسِ إلى ربِّهم يَرْجِعُون.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمرَكم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

ثَمَراتُ التَّوحِيد(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهدِه اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التقوى؛ فتقوى اللَّه طريقُ الهدى، ومُخالفتُها سبيلُ الشَّقاء.

أيُّها المسلمون:

تفرَّدَ اللَّهُ بالوحدانيَّة، ونزَّه نفسَه سبحانه عن الشَّريكِ والمَثيلِ والنَّظِير، وأمرَ عبادَه أن يعبُدوه وحدَه ونوَّع لهم العبادات، وجعلَ إفرادَه بالعبادة أصلَ الدِّين وأَسَاسَهُ وأوَّلَ أركانه، وهو جِماعُ الخير، ولا تُقبلُ حسنةٌ إلَّا به، والعملُ القليلُ معه مُضاعَفٌ، وبدونِه الأعمالُ الصَّالِحةُ حابِطةٌ وإنْ كانت أمثالَ الجبال.

وهو أوَّلُ دعوةِ الرُّسُلِ وخُلاصتُها، ومِنْ أَجلِه بُعِثوا؛ قال سبحانه:

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، التاسع من شهر جمادى الآخرة، سنة أربع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾.

وكلُّ آيةٍ في كتابِ اللَّه صَرِيحةٌ فيه أو دالَّةٌ عليه، أو في واجِباتِه أو ثوابِه أو في ضِدِّه، وأولُ أمرٍ في كتابِ اللَّه: الأمرُ به؛ قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ أي: وحِّدوه.

وفي كلِّ صلاةٍ يُعاهِدُ المُسلمُ ربَّه على القيام به: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ أي: لا نعبدُ سِواك ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾.

وهو حقُّ اللَّه على عبادِه، وأوَّلُ واجبٍ عليهم من التَّكالِيف؛ قال ﷺ لمُعاذٍ رضي الله عنه: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: عِبَادَةُ اللَّهِ**» (متفق عليه)، وأوَّلُ ما يُسأَلُ عنه العبدُ في قبرِه: «**مَنْ رَبُّكَ؟**» - أَيْ: مَنْ مَعْبُودُكَ؟ -».

ولأهمِّيَّتِه ولكونِهِ لا طريقَ لِرضا الرَّبِّ إلَّا به دعا إمامُ الحُنفاء لنفسِه ولذرِّيَّتِه بالثَّبات على التَّوحِيد، فقال: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسۡلِمَةً لَّكَ﴾، ودعا يوسفُ عليه السلام ربَّه فقال: ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمًا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

ومن دُعاء نبيِّنا ﷺ: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ! ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**» (رواه أحمد).

وهو وصيَّةُ المُرسَلين: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾.

ونَهْجُ الرُّسُلِ تعليمُه لِأولادهم وسُؤالُهم عنه وهم في سَكَرات الموت؛ قال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

وكان النَّبيُّ ﷺ يُعلِّمُ غِلمانَ الصَّحابةِ التَّعلُّقَ باللَّهِ وحدَه دون ما سِواه؛ قال لابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «**يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**» (رواه الترمذي).

وأمرَنا اللَّه أن لا نموتَ إلَّا عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

بإفراد العبادة للَّه يَنشرِحُ الصَّدرُ، ويَطمئنُّ القلبُ، ويَتحرَّرُ من عبوديَّة الخلقِ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ﴾.

وبه تُفرَجُ الهُموم وتُكشَفُ الكُروب: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، قال ابن القيِّم رحمه الله: «مَا دُفِعَتْ شَدَائِدُ الدُّنْيَا بِمِثْلِ التَّوْحِيدِ».

يُزيلُ الغِلَّ ويُصلِحُ القلبَ؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**ثَلَاثُ خِصَالٍ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ أَبَداً: إِخْلَاصُ العَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الأَمْرِ، وَلُزُومُ الجَمَاعَةِ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ**» (رواه أحمد).

وهو سببُ الحياة الطَّيِّبَة؛ بل لا سعادةَ في الدُّنيا إلَّا به؛ قال

سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾.

وهو قِوامُ الحياة التي تطلبُها النُّفوس: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾.

وهو الَّذي يُوحِّدُ المُسلمينَ - عربَهم وعجمَهم، شَرقَهم وغربَهم - ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾.

كلمةُ التَّوحِيد كلمةٌ طيِّبَةٌ شامِخةٌ، أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السَّماء، هي كلمةُ اللَّه العُليا، وبها كلَّم اللَّه مُوسَى كِفاحاً من غير واسِطة: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾.

ولا شُعبةَ أعلى منها في الإيمان؛ قال ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ: بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً؛ فَأَفْضَلُهَا: قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (رواه مسلم).

هي أزكَى الكلامِ وأثقَلُ شيءٍ في المِيزان، وتعدِلُ عِتقَ الرِّقاب، وحِرزٌ من الشَّيطان في كلِّ يوم؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ؛ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ» (متفق عليه).

«لا إله إلَّا اللَّه» ما تعطَّرَتِ الأفواهُ وتحرَّكَتِ الشِّفَاهُ بأحسنَ منها؛ قال ﷺ: «خَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (رواه الترمذي).

كلمةٌ خالِدةٌ وَعَدَ اللَّه أن يبقَى في النَّاسِ مَنْ يقولُها ويدعُو إليها؛ قال سبحانه: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾.

هي القولُ الثَّابتُ، مَنْ تمسَّك بِها ثبَّتَه اللَّه في الدُّنيا والآخرة؛ قـال ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ﴾.

وأكملُ الخلقِ أكملُهم للَّه عُبوديَّةً، وعلى قدرِ تَحقيقِ التَّوحِيدِ يكونُ كمالُ العبدِ وسُمُوُّ مكانتِه، واللَّه يُدافِعُ عن المُوَحِّد في دينِه ودُنياه، وأرجَى من يَحظَى بمغفرةِ اللَّه هو المُوَحِّد؛ قال اللَّه في الحديث القدسي: «لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» (رواه الترمذي)، قال ابن رجبٍ رحمه الله: «فَالتَّوْحِيدُ هُوَ السَّبَبُ الأَعْظَمُ؛ فَمَنْ فَقَدَهُ؛ فَقَدَ المَغْفِرَةَ، وَمَنْ جَاءَ بِهِ فَقَدْ أَتَى بِأَعْظَمِ أَسْبَابِ المَغْفِرَةِ».

والشَّيطانُ لا سبيلَ له إلى المُوَحِّد: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، وبقدرِ توحيدِه تزدادُ مُدافعَةُ اللَّهِ عنه؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾، ومَنْ حقَّقَ توحيدَ اللَّهِ فاللَّهُ حافظٌ له من المُوبِقات والفواحِش، قال عن يُوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ

﴿لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «كُلَّمَا كَانَ القَلْبُ أَضْعَفَ تَوْحِيداً وَأَعْظَمَ شِرْكاً كَانَ أَكْثَرَ فَاحِشَةً».

والمُوَحِّدُ عليه في الحياة الدُّنيا السَّكينةُ والطُّمأنينةُ، وآمِنٌ فيها بِقَدْرِ إيمانِه ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾.

والأمواتُ ينتفِعون بدعواتِ المُوَحِّدين، ولا تُقبَلُ في صلاة الجنائزِ إلَّا دَعواتُهم؛ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جِنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئاً؛ إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ**» (رواه مسلم).

وإذا دَنَتْ وفاةُ المُوَحِّدِ بشَّرهُ اللَّه بالجنَّة؛ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ**» (رواه أبو داود).

وكما أعزَّ اللَّه المُوَحِّدَ في الدُّنيا، فقد أَكْرَمَه اللَّه في الآخرة وأعلى مَكانتَه، وجازَاه بخير جزاءِ العامِلين؛ فمَنْ ماتَ على التَّوحِيد كانت له الجنَّةُ إمَّا ابتِداءً أو مَآلاً، وإنْ دخلَ النَّارَ بذنُوبه لم يُخلَّدْ فيها؛ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً؛ دَخَلَ الجَنَّةَ**» (متفق عليه).

ولا يَنالُ شفاعةَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِوَى المُوَحِّدين؛ قال أبو هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: **أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ خَالِصاً مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ**» (رواه البخاري).

والمُحقِّقُ للتَّوحِيدِ يَدخُلُ من أيِّ أبوابِ الجنَّةِ الثَّمانيةِ شاء؛ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُسْبِغُ الوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ**

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ» (رواه مسلم)، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «كُلَّمَا كَانَ تَوْحِيدُ العَبْدِ أَعْظَمَ؛ كَانَتْ مَغْفِرَةُ اللَّهِ لَهُ أَتَمَّ، فَمَنْ لَقِيَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً البَتَّةَ؛ غَفَرَ لَهُ ذُنُوبَهُ كُلَّهَا».

ويدخلُ الجنَّةَ سبعُون ألفاً بغير حسابٍ، كلُّهم من أهلِ التَّوحِيد، قال عليه الصلاة والسلام: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**» (متفق عليه).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالتَّوحِيدُ أغلى ما يملِكُ المُسلِمُ، ومَنْ هداهُ اللَّه إليه فليَعُضَّ عليه بالنَّواجِذ، وَلْيَصُنْه مِمَّا يُناقِضُه أو يقدَحُ فيه أو يُنقِصُه، ومَنْ دعا غيرَ اللَّه أو طافَ على قبرٍ أو ذبَحَ له فقد خَسِرَ أنوارَ التَّوحِيدِ وفضائِله، ولم تُقبَل له طاعة، وتعرَّض لنُصوص الوَعيد بالخُلود في النَّار.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهدُ أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهدُ أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

التَّوحِيدُ مِنَّةٌ من اللَّه عظيمةٌ، يَهَبُها لمن يشاءُ من عباده، وعلى المسلم أن يسعى لِتحقيقه في نفسه وذرِّيَّته والأقربين من أهله ومن جميع النَّاس.

ومن شُكرِ نعمة التَّوحِيدِ: دعوةُ الخلقِ إليه، والتَّحذيرُ من كلِّ آفةٍ تُنافِي أصلَه أو كمالَه.

ومن وسائل الثَّبات عليه: دعاءُ اللَّه بالثَّبات، والبُعدُ عن البِدَع والشُّبُهات والشَّهَوات، والإكثارُ من الطَّاعات، والتَّزوُّدُ من علوم الشَّريعة، وسؤالُ العلماء الرَّبَّانيِّين عمَّا يُشْكِلُ منها.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

فَضلُ كَلِمَةِ التَّوحِيد[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهدِه اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحمَّداً عبدُه ورسوله، صلى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واسْتَمْسِكُوا من الإسلام بالعُرْوَة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

شرفُ المخلوقِ في الإقبالِ على طاعةِ اللَّه ولُزومِ عبوديَّته، وتلك حكمةُ الخلقِ والأمر، وبها الفوزُ والفلاحُ في الدُّنيا والآخرة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾، والفرحُ والسُّرورُ واللَّذَّةُ وطِيبُ الوقت والنَّعيم إنَّما هو في معرفةِ اللَّهِ وتوحيدِه والإيمانِ به.

وأفضلُ الكلام وأحَبُّه إلى اللَّهِ ما كان ثناءً عليه ومَدحاً له، وخيرُ الثَّناءِ على اللَّه كلمةُ التَّوحِيد «لا إله إلَّا اللَّهُ»، كلمةٌ قامت عليها

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، السادس من شهر جمادى الأولى، سنة ثمان وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

الأرضُ والسَّموات، ولأجلِها خُلِقَتِ الموجودات، وبها أنزلَ اللَّه كتبَه وأرسلَ رُسُله؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾، وأنذرَ بها الرُّسُلُ أقوامَهم؛ قال سبحانه: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾.

شهِدَ اللَّهُ بها لنفسِه وأشهد عليها أفضلَ خلقِه؛ قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذِهِ أَجَلُّ شَهَادَةٍ وَأَعْظَمُهَا وَأَعْدَلُهَا وَأَصْدَقُهَا، مِنْ أَجَلِّ شَاهِدٍ، بِأَجَلِّ مَشْهُودٍ بِهِ».

جميعُ الشَّرائعِ مبناها على هذه الكلمة، والدِّينُ كلُّه من حقوقِها، والثَّوابُ كلُّه عليها، والعقابُ كلُّه على تركِها أو التَّقصيرِ فيها، كلمةٌ عاليةُ المنازِل، كثيرةُ الفضائِل، فهي رأسُ الإسلام مُطلقاً، وأولُ أركانِه ومبانِيه العِظام، وعليها تقومُ جميعُ الأركان، وهي ركنُ الإيمانِ باللَّه وجانبُه الأعظم، فلا يصِحُّ الإيمانُ بدونِها ولا يستقيمُ إلَّا عليها.

عليها أُسِّسَتِ الملَّة ونُصِبت القِبْلَة، وهي محضُ حقِّ اللَّهِ على جميعِ العباد، كلمةُ الإسلام، ومفتاحُ دارِ السَّلَام، وبها انقسمَ النَّاسُ إلى شقيٍّ وسعيدٍ، ومَقْبُولٍ وطَريدٍ، فارِقةٌ بين الكفرِ والإسلام، ما نَطق النَّاطقون بأحسنَ منها قولاً، ولا عَمل العاملون بأفضلَ من مدلولِها فعلاً، قال النَّبيُّ ﷺ: «أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ» (رواه مسلم).

هي كلمةُ التَّقوَى التي اختَصَّ اللَّه بها أولياءَه؛ قال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، وهي العُروةُ الوُثقَى الَّتي مَنْ تمسَّك بها نجا؛ قال سبحانه: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾، العلُوُّ صفتُها، والبقاءُ يُلازِمُها، قال تعالى: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾.

كلمةٌ طيِّبةٌ ضرَبَ اللَّه لها مثلاً في كتابِه؛ فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، بها انشِراحُ الصَّدر ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾، قال ابن جُريج رَحِمَهُ اللَّهُ: «بِـ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)»، وبها سلامَةُ القلبِ ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، قال ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «القَلْبُ السَّلِيمُ: أَنْ يَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

وهي دعوةُ الحقِّ الذي لا باطلَ فيه، والقولُ السَّديدُ الذي لا اعوجاجَ فيه، وشهادةُ صدقٍ لا كذِبَ فيها، وهي المثَلُ الأعلى الذي اختَصَّ اللَّه به دون خَلقِه، وهي الكلمةُ الباقِيةُ في عقِبِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ قال سبحانه: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، قال ابن كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هِيَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ جَعَلَهَا دَائِمَةً فِي ذُرِّيَّتِهِ يَقْتَدِي بِهِ فِيهَا مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ».

«لا إله إلَّا اللَّهُ» أعظمُ نعمةٍ على الخلق؛ قال سبحانه: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾، قال سفيانُ بن عُيَيْنَة رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى العِبَادِ نِعْمَةً أَعْظَمَ مِنْ أَنْ عَرَّفَهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

كلمةٌ تعدِلُ الدُّنيا وما فيها؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «**لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**» (رواه مسلم).

هي أوَّلُ واجبٍ على العبادِ علماً وعملاً؛ قال سبحانه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، قال شيخ الإسلام ﵀: «السَّلَفُ وَالأَئِمَّةُ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ أَوَّلَ مَا يُؤْمَرُ بِهِ العِبَادُ الشَّهَادَتَانِ»، وهي آخرُ واجبٍ؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ**» (رواه أبو داود).

العالِمُ العامِلُ بها هو المُستقيمُ حقّاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾، قال ابن عبَّاسٍ ﵄: «أَيْ: عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

إذا صَدَقَت هذه الكلمةُ تَطهَّرَ القلبُ من كلِّ ما سِوَى اللَّه، ومن صَدَقَ فيها لم يُحِبَّ سِوَى اللَّه، ولم يَرْجُ إلَّا إياه، ولم يَخشَ سِواه، ولم يَتوكَّلْ إلَّا عليه، ولم يَبقَ بقيَّةٌ من آثارِ نفسِه وهواه.

هي عصمةٌ للمالِ والدَّمِ؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ ﷻ**» (رواه مسلم).

أوَّلُ ما يُبدأُ به من الدَّعوة، وبها بدَأَ النَّبيُّ ﷺ دَعوتَه، وعليها كان يُبايِعُ أصحابَه، وبها بعَثَ النَّبيُّ ﷺ الدُّعاةَ إلى الأمصار، فقال

لمُعاذٍ رضي الله عنه لمَّا بعثَه إلى اليَمَن: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ؛ فَادْعُهُمْ إِلَى: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ» (متفق عليه).

كلمةُ التَّوحِيدِ كلمةٌ سواء، عليها يجتمِعُ الخَلقُ، وبدونِها الفُرقةُ والاختلافُ، قال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾، مَنْ قالها بحقٍّ أفلَح؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ تُفْلِحُوا» (رواه أحمد).

المُتمسِّكُ بها آخِذٌ بأعلى شُعبِ الإيمان؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا: قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (رواه مسلم)، والآيةُ المُتضمِّنةُ لها أعظَمُ آيةٍ في القرآن، وسيِّدُ الاستغفارِ مُشتملٌ عليها.

هي أكثرُ الأعمال مضاعفةً وأجراً؛ فـ«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ؛ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ» (متفق عليه)، و«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مِرَارٍ؛ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ» (رواه مسلم).

هي أجلُّ الصَّدقاتِ من غيرِ بَذلِ مالٍ؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «**وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ**» (رواه مسلم)، وهي نجاةٌ للعبدِ في قَبرِه، وعليها يُثبَّتُ عند السُّؤال؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ﴾**» (متفق عليه).

وسجلَّاتُ الذُّنوب تَطِيشُ - بفضل اللَّه - بثِقَلِ هذه الكلِمَة؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَسْتَخلِصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلّاً، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ البَصَرِ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ**» (رواه أحمد)، و«**لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرضِينَ السَّبْعَ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ؛ رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً؛ قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» (رواه أحمد).

أهلُها شُفعاء، ولهم عَهْدٌ عند الرَّحمن؛ قال سبحانه: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾.

وأسعدُ النَّاسِ بشفاعةِ النَّبيِّ ﷺ المُخْلِصُون الصَّادقون في قولِها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ خَالِصاً مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ**» (رواه البخاري).

والجنَّةُ جزاءُ مَنْ قالَها بصدقٍ، خالِصاً من قلبه، مُوقِناً دون شكٍّ،

عامِلاً بها، مُبتعِداً عمَّا يُناقِضُها؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ؛ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ» (متفق عليه)، وتُفتَحُ لقائِلها أبوابُ الجنَّةِ الثَّمانية، يَدخُلُ من أيِّها شاء؛ بل من كان صادقاً فيها عامِلاً بمُقتضاها، لم تمَسَّه النَّار؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقاً مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ» (متفق عليه)، ويُخرِجُ اللَّهُ من النَّارِ مَنْ قالَها وكان في قلبِه مِثقالُ ذَرَّةٍ من إيمان؛ قال اللَّه ﷻ: «وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي! لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (رواه البخاري).

ولأهميةِ كلمةِ التَّوحيدِ في كلِّ لحظةٍ من حياةِ العبد؛ جاءت الشَّريعةُ بالحثِّ على مُلازمتِها في كلِّ أحوالِه وشُؤونِه؛ فـ«مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ كَانَ لَهُ عَدْلُ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَكُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ فِي حِرْزٍ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ قَالَهَا إِذَا أَمْسَى كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ» (رواه أبو داود)، وإذا فرَغَ من طُهورِه وقالها، فُتِحَت له أبوابُ الجنَّة الثَّمانية، قال النَّبيُّ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ، فَيُسْبِغُ الوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ» (رواه مسلم).

وهي مبدأُ الأذان وخِتامُه، قال ﷺ: «إِذَا قَالَ المُؤَذِّنُ: اللَّهُ أَكْبَرُ

اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الفَلَاحِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مِنْ قَلْبِهِ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ» (رواه مسلم)، و«مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ المُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبّاً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَبِالإِسْلَامِ دِيناً؛ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ» (رواه مسلم).

وفي الصَّلاة إذا قام المسلمُ إليها استفتحَ بالتَّوحِيدِ، والصَّلاةُ لا تصِحُّ إلَّا بالتَّشهُّد، وقبل أن يُسلمَ المُصلِّي من الصَّلاة يدعو مُتوسِّلاً إلى اللَّه بها: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» (رواه مسلم)، وفي دُبُرِ كلِّ صلاةٍ يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (متفق عليه)، ويختِمُ بها التَّسبيحَ والتَّحميدَ والتَّكبيرَ، فـ«تُغْفَرُ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ» (رواه مسلم).

وفي المناسِكِ يَسْتَصْحِبُها؛ «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَعِدَ عَلَى الصَّفَا وَالمَرْوَةِ؛ اسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللَّهَ، وَكَبَّرَهُ» (رواه مسلم)، وفي مُزدلِفَة: «أَتَى النَّبِيُّ ﷺ المَشْعَرَ، فَرَقِيَ عَلَيْهِ؛ فَحَمِدَ اللَّهَ، وَوَحَّدَهُ،

وَكَبَّرَهُ، وَهَلَّلَهُ» (رواه النسائي)، و«إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ، يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الأَرْضِ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (متفق عليه).

وفي مواسِمِ الخيرات - كعَشْرِ ذي الحِجَّة -: يُستحبُّ الإكثارُ منها، وفي الخُطبِ يَستفتِحُ مَطلَعَها بالتَّوحِيدِ، وفي مُخالَطتِه للنَّاس إذا جلَسَ مجلِساً كثُر فيه لَغَطُه ثمَّ قال العبدُ قبل أن يقومَ من مَجْلِسِه ذلك: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ؛ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ» (رواه الترمذي)، و«مَنْ تَعَارَّ - أَي: اسْتَيْقَظَ - مِنَ اللَّيْلِ - فَقَالَهَا - ثُمَّ دَعَا؛ اسْتُجِيبَ لَهُ فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى؛ قُبِلَتْ صَلَاتُهُ» (رواه البخاري)، وفي حالِ الهَمِّ والكَربِ يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ» (متفق عليه).

والثَّناءُ على اللَّه بها قبل سُؤالِه سببٌ لإجابة الدُّعاء؛ قال سبحانه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ﴾، قال النَّبيُّ ﷺ: «لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ؛ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ» (رواه الترمذي).

وهي كفَّارةُ الحَلِفِ بغيرِ اللَّه؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ

فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالعُزَّى؛ فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (متفق عليه).

ومَنْ حَضرَتْه الوَفاةُ استُحِبَّ تَلْقِينُه إيَّاها؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (رواه مسلم).

وإليها يُدعَى مَنْ كان على غيرِ المِلَّةِ ولو في آخرِ لَحْظَةٍ مِنْ حياتِه؛ حضَرَت أبا طالبٍ الوفاةُ فقال النَّبيُّ ﷺ: «يَا عَمِّ! قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ» (متفق عليه).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالعِزُّ في التَّوحِيدِ، قال عُمر رضي الله عنه: «نَحْنُ قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللَّهُ بِالإِسْلَامِ»، والشَّهادةُ عنوانُه ودليلُه، ولا ينفعُ قولٌ يُناقِضُه العمل، ومَنْ لم ينطِقْ بها فاتَتْه لذَّةُ الدُّنيا والآخرة، وقُوَّةُ وضعفُ المسلمين على حسَبِ تحقيقِهم لهذه الكلمةِ قولاً وعَمَلاً، فهي مِيزانُهم عند اللَّه وعندَ النَّاس، فإن قَوِيَتْ عندهم رضِيَ اللَّه عنهم وعَزُّوا وارتَقَوا، وإن ضَعُفَتْ بَعُدُوا عن اللَّه وضَعُفُوا ووَهَنُوا.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

العلمُ بمعنى كلمةِ التَّوحِيدِ والعملُ بها، والبُعدُ عما يُضادُّها أو يُناقِضُها شرطٌ لحُصولِ مُقتضاها الوارِدِ في النُّصوص، فمعناها: نفيُ الإلهية بحقٍّ عمَّا سِوَى اللَّه، وإثباتُها للَّه وحدَه، وهذا الذي أنكرَه كفَّارُ قريشٍ، قال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾، ولم ينفَعْهم إقرارُهم بتوحيدِ الرُّبوبيَّة فحسب.

وكلُّ مَنْ كان بمعناها أعرف، وبمقتضاها أَقْوَم؛ كان ميزانُه أَثْقَل، وتفاوتُ النَّاسِ فيها على قَدْرِ تحقيقِ شروطِها، ورُوحُ هذهِ الكلمةِ وسِرُّها: إفرادُ اللَّه بالعبادة، فمَنْ أَشْرَكَ مخلُوقاً في حقِّ اللَّهِ وعبادتِه كان ذلك ناقِضاً لقولِ: «لا إله إلَّا اللَّهُ».

والسَّعيدُ مَنْ حافَظَ على تَوحِيدِه وماتَ عليه، ولم يَتدنَّسْ بناقِضٍ من نواقِضِه، أو قادِحٍ فيه، أو بما يُنْقِصُه، وهي أُمنيةُ عبادِ اللَّه الصَّادِقِين: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

أَحَبُّ عَمَلٍ عِنْدَ اللَّه[1]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واسْتَمْسِكُوا من الإسلام بالعُرْوَة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

خَلَقَ اللَّهُ عبادَه، وسَخَّر لهم ما في السَّمواتِ وما في الأرضِ، وأَسْبَغَ عليهم نِعَمَه ظاهرةً وباطنة؛ لِيُفرِدُوه سبحانه بالعبادة، فبقِي النَّاسُ بعدَ آدمَ عشرةَ قرونٍ يَعْبُدُون اللَّهَ وحدَه، فزيَّن الشَّيطانُ لبعض خلق اللَّه عبادةَ الأَصْنَام، فعبَدُوها؛ فأرسلَ اللَّه الرُّسلَ وأنزلَ معهم الكتبَ؛ ليَرْجِعَ النَّاسُ إلى عبادة اللَّه وحده، ومِنْ رأفتِه بخلقه: جَعَل فِطَرَهم موافِقةً لِمَا خَلقَهم له؛ فكلُّ مولودٍ يُولَد على فطرة إفراد اللَّه بالعبادة،

(١) أُلقيت يوم الجمعة، التاسع والعشرين من شهر شوال، سنة إحدى وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وأنَّه المَعْبُودُ وحده دون مَنْ سواه، قال سبحانه: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾.

والشَّيطانُ يسعى لِإفسادِ فِطَرِ الخَلْق؛ لِيَحْرِمَ العبادَ من رضا ربِّهم عنهم، ومن النَّعيم المقيم المعَدِّ لهم في جنَّات عَدْن؛ قال ﷺ ذاتَ يومٍ في خطبته: «**أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً**» (رواه مسلم).

يَدْعُو إبليسُ الخَلْقَ إلى الوقوعِ في أَعْظم ذنبٍ يُعصَى اللَّه به؛ سُئِل النَّبيُّ ﷺ: «أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: **أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدّاً وَهُوَ خَلَقَكَ**» (متفق عليه)؛ فعَبَد كثيرٌ من الناس غير اللَّه؛ كما قال سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

ومن آثار عدم الإيمان: أنَّ كلَّ عَمَلٍ يُعمَلُ - وإن كان صالحاً - فإنَّه لا يُثاب عليه؛ لِفُقدانِ أصل الدِّين؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ وَيُطْعِمُ المِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: **لَا يَنْفَعُهُ؛ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْماً: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**» (رواه مسلم).

وهذا الذَّنبُ سببٌ لسَخَطِ اللَّهِ وحُلُولِ الذِّلَّة والمَسْكَنَةِ لِمَنْ فَعَلَه؛ قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾؛ وصاحبُه يتقلَّبُ في كروبٍ وهمومٍ وأحزان؛ قال جلَّ شأنه:

﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، ويَمْنَعُه من دخول الجنَّةِ ويُخَلِّدُه في النَّار؛ قال جلَّ شأنه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾.

ولِئَلَّا يقعَ العِبادُ في شَرَكِ الشَّيطانِ ويُسْخِطُوا ربهم ويُخلَّدوا في النَّار؛ أرسل اللَّهُ لكلِّ أُمَّةٍ رسولاً يُحذِّرُهُم من دعوةِ الشَّيطان، ويأمُرُهُم بعبادة الرَّحمن، وأنزل الكتب، ودعا إليه في أكثر آيات القرآن، وجميعُ ما في القرآن دالٌّ عليه، وأوَّلُ أمرٍ في كتاب اللَّه: هو الأمرُ به؛ قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ أي: وحِّدوا ربَّكم، وأوَّلُ نهيٍ يتلوه قارئُ القرآنِ هو النَّهيُ عن ضِدِّه: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وسورةُ الإخلاصِ تَعْدِلُ ثُلُثَ القرآن؛ لاشتمالها على التَّوحِيد، وأعظمُ آيةٍ في كتاب اللَّه ما اشتملت على وُحدانيَّته؛ آيةُ الكُرْسِيّ.

ومَكَثَ النَّبيُّ ﷺ بعد بعثته يدعو إلى تَوحِيدِ اللَّه عَشْرَ سنين، لا يدعو إلى شيءٍ سواه، ثمَّ تتابَعَت عليه الشَّرائعُ، فكان يدعو إليها مع التَّوحِيدِ إلى مماته، وكان يقولُ في صباحه ومسائه: «**أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلَامِ، وَعَلَى كَلِمَةِ الإِخْلَاصِ، وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً مُسْلِماً، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**» (رواه أحمد)، وكان يَسْتَفْتِحُ يومَه بالتَّوحِيدِ، فيَقرأُ في رَكْعَتَي الفَجْر بـ«الكافرون» و«الإخلاص»، ويَخْتِمُه به؛ فيَقرأُ في الشَّفع والوِتر بـ«الكافرون» و«الإخلاص».

ووصَّى به أمَّتَه، أتى أَعْرابيٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: «دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجَنَّةَ؛ قَالَ: **تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ المَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ**» (متفق عليه)، وكان يأمر أصحابه أن يُبايعوه على عبادةِ اللَّهِ وحدَه؛ قال عوفُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: **أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟** قُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: **عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَالصَّلَوَاتِ الخَمْسِ**» (رواه مسلم).

وإذا بَعث الدُّعاةَ إلى الأمصار: يأمرُهم أن يبدؤوا بالدَّعوةِ إلى التَّوحِيد؛ بعثَ معاذاً إلى اليمن وقال له: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ؛ فَادْعُهُمْ إِلَى: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ**» (متفق عليه)، وإذا جاءه وفْدٌ من الوفود علَّمَهم التَّوحِيد؛ أتاه وَفْدُ عبدِ القيس فقال لهم: «**أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟** قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ...**» الحديثَ (متفق عليه).

وخاف الرُّسلُ على أبنائهم اتِّباعَ الشَّيطانِ بعبادةِ الأصنام؛ قال الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾، والنَّبيُّ ﷺ خافه على أمَّته؛ فقال: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**، فَسُئِلَ عَنْهُ، فَقَالَ: **الرِّيَاءُ**» (رواه أحمد)، وهو مِنْ حقِّ اللَّه على العباد، قال النَّبيُّ ﷺ: «**يَا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ؟** قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً**» (متفق عليه).

ويُقرِّبُ العبدَ من الجنَّة ويُباعدُه من النَّار؛ جاء أعرابيٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: «أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الجَنَّةِ وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ وُفِّقَ - أَوْ: لَقَدْ هُدِيَ -، قَالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: فَأَعَادَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ» (متفق عليه).

ولا سعادةَ في الدُّنيا والآخرة إلَّا به؛ قال عليه الصلاة والسلام: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ تُفْلِحُوا» (رواه أحمد)، ومَنْ كانت خاتِمَتُه على الشَّهادةِ دخل الجنَّة؛ قال ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ» (رواه أبو داود)، ومَنْ مات عليه دخل الجنَّةَ ونَجا من النَّار؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ» (رواه مسلم).

وأعمالُ المُوحِّدين تَتفاضلُ بِتفاضُلِ ما في القلوبِ من الإيمانِ والإخلاصِ، وأعزُّ ما يَملِك المسلمُ هو توحيدُه لربِّه، وأهمُّ ما عليه: حِفاظُه عليه من البُطلان، أو القوادح، أو النَّواقص الواردة عليه، قال ابن القيِّم رحمه الله: «التَّوْحِيدُ أَلْطَفُ شَيْءٍ وَأَنْزَهُهُ، وَأَنْظَفُهُ وَأَصْفَاهُ؛ فَأَدْنَى شَيْءٍ: يَخْدِشُهُ وَيُدَنِّسُهُ وَيُؤَثِّرُ فِيهِ، فَهُوَ كَأَبْيَضِ ثَوْبٍ: يُؤَثِّرُ فِيهِ أَدْنَى أَثَرٍ، وَكَالمِرْآةِ الصَّافِيَةِ جِدّاً: أَدْنَى شَيْءٍ يُؤَثِّر فِيهَا».

واللَّهُ جل جلاله أَوْحَى لِرُسلِه أنَّهُ إنْ وقعَ منهم شِرْكٌ؛ حبطَت أعمالُهم، فكيف بِغيرِهم؟! قال جل جلاله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾، ولذا خاف إبراهيمُ عليه السلام من

الشِّرْكِ، فدعا ربَّه - وهو يَبْنِي الكَعْبَة -: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾، وإذا كان الخليلُ يَخْشَى على نفسِه الشِّركَ؛ فغيرُه أَوْلَى.

وتعليمُ الأبناءِ أصلَ دينهم وسؤالُهم الدَّائمُ عنه هو نَهْجُ الرُّسل؛ يعقوب عليه السلام - وهو في نزع الرُّوح - يَسأل أبناءَه عن توحيدِهم: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾، ونبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ يَسألُ جارِيةً صغيرةً: «**أَيْنَ اللَّهُ؟** قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ» (رواه مسلم).

ومُدارسةُ كتبِ الاعتقادِ السَّليمةِ ومُلازمةُ حِلَقِ أهلِ العلمِ من أسباب الثَّبات؛ قال ﷺ: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّتِي**» (رواه الحاكم)، قال الشَّيخ مُحمَّدُ بن عبد الوهَّاب رحمه الله: «أَهَمُّ مَا عَلَيْكَ: مَعْرِفَةُ التَّوْحِيدِ قَبْلَ مَعْرِفَةِ العِبَادَاتِ كُلِّهَا حَتَّى الصَّلاةِ»، والدُّعاءُ بالثَّباتِ على الدِّين سبيلُ الأنبياء؛ قال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وتعظيمُ توحيدِ الخالقِ، وإدراكُ أهمِّيَّته، والبُعدُ عن الشُّبُهات؛ من أسباب الهُدَى.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه على إحسانِه، والشكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهدُ أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهدُ أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

التَّوحِيدُ أعظمُ ما تَزْكو به النَّفسُ، ولا يَتحقَّقُ إلَّا بالكفرِ بجميعِ ما يُعبَدُ من دون اللَّه - وهو معنى الشَّهَادَة -؛ قال ﷺ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ ﷻ**» (رواه مسلم)، ومَنْ حقَّقَ التَّوحِيدَ: زالت كُروبُه، ونال رضا ربِّه، وقُبِلت أعمالُه، وضُوعِفَت أُجورُه، وكانت حياتُه طيِّبةً، وغُفِرت ذنوبُه، ودخل الجَنَّة بغير حسابٍ ولا عذابٍ، ولا نعمةَ أعظمُ من نعمةِ الدِّينِ والثَّباتِ عليه.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّهَ أَمَرَكم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

عَظَمَةُ اللَّهِ [(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهدِه اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واسْتَمْسِكُوا من الإسلام بالعُرْوَة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

أوجَد اللَّه العبادَ من العدَم، وأمدَّهم بالنِّعم، وكشفَ عنهم الكروبَ والخُطوب، والفِطَرُ السَّليمةُ تُحِبُّ من أنعمَ وأحسنَ إليها، وحاجةُ النُّفوس إلى معرفة ربِّها أعظمُ من حاجتهم إلى الطَّعام والشَّراب والنَّفَس، ولا سعادةَ في الدُّنيا والآخرة إلَّا بمعرفةِ اللَّه ومحبتِه وعبادتِه، وأعرفُ الناس به أشدُّهم له تعظيماً وإيماناً.

وعبوديَّةُ القلبِ أعظمُ من عبوديَّةِ الجوارحِ وأكثرُ وأدوَم، فهي واجبةٌ في كلِّ وقت، وأعمالُ الجوارحِ لإصلاحِ القلب؛ قال

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثامن عشَر من شهر جمادى الأولى، سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَاللَّهُ يُنْزِلُ العَبْدَ مِنْ نَفْسِهِ حَيْثُ يُنْزِلُهُ العَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ»، وإذا عرفَ المخلوقُ ربَّه؛ اطمأنَّت إليه نفسُه وسكنَ إليه قلبُه، ومَنْ كان باللَّهِ وصفاتِه أعلم؛ كان توكُّله أَصحَّ وأقوى، وأكملُ النَّاسِ عبوديَّةً: المُعظِّمُ للَّه، المُتعبِّدُ له بجميع أسمائه وصفاته.

واللَّهُ سبحانه له من الأسماءِ أَحْسَنُها - وأسماؤُه مدحٌ وتَمْجِيد -، وله من الصِّفات أعلاها - وصفاتُه صفاتُ كمال -، كان النَّبيُّ ﷺ يقول في رُكوعه: «**سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوتِ، وَالمَلَكُوتِ، وَالكِبْرِيَاءِ، وَالعَظَمَةِ**» (رواه النسائي)، له الكمالُ المُطلقُ في كلِّ شيء، كان النَّبيُّ ﷺ يقول: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**» (رواه مسلم).

وجميعُ مَنْ في السَّموات ومَنْ في الأرض يُنزِّهون اللَّه عن كلِّ عَيْبٍ ونَقْصٍ؛ قال سبحانه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، وكلُّهم يسجُد له؛ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

له سبحانه الخلقُ والأمرُ وحدَه، أتقنَ ما صنعَ، وأبدَعَ ما خلق، وقدَّرَ مقاديرَ الخلائقِ قبل أن يخلقَ السَّمواتِ والأرضَ بخمسينَ ألفَ سَنَة، والحُكمُ حُكمُه، ولا يَشْرَكُهُ في ذلك أحد، لا رادَّ لقضائه ولا مُعقِّبَ لحكمه، حيٌّ لا يموت، جميعُ الخلقِ تحتَ قهرِه وقبضته، يُميتُهم ويُحييهم، ويُضحِكُهم ويُبكِيهم، ويُغنيهم ويُفقِرُهم، ويُصَوِّرُهم في الأرحام كيف يشاء.

﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾، يُدبِّرُها كيف شاء، وقلوبُ العباد بين أُصبعَيْه يُقلِّبُها كيف شاء، ونواصيهم بيده، وأزِمَّةُ الأمور معقودةٌ بقضائه وقدَره.

لا يُنازِعُه مُنازع، ولا يغلِبُه غالب، لو أنَّ الأُمَّةَ اجتمعت لِتضرَّ أحداً واللَّهُ لَمْ يَكْتُب ذلك؛ لم يضُرَّه أحد، ولو اجتمعوا على نفعه واللَّه لم يُرِد ذلك؛ لم ينفعه أحد.

لا رادَّ لعذابه إن نزل، ولا رافع له إن حلَّ سواه، يخلق ما يشاء، ويفعل ما يُريد ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ والخلقُ يُسألون، قائمٌ بنفسه، مُستغنٍ عن خلقه، ومُهيمنٌ عليهم جميعاً، مفاتيحُ الغيب عنده لا يعلمُها إلَّا هو، وأخفَى عِلْمَها حتى عن الملائكة؛ فلا يَعْلَمُونَ مَنْ سيموت غداً أو ما سيحدث في الكون قبل أن يكون.

ملِكٌ يُدبِّر أمرَ عبادِه؛ يأمرُ وينهَى، ويُعطِي ويمنع، ويخفِضُ ويرفع، أوامرُه مُتعاقبةٌ على تعاقُب الأوقات، نافذةٌ بحسب إرادته ومشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾، ومِنْ جُمْلَة شُؤُونِه: أن يُفرِّج كَرْباً، ويَجْبُرَ كَسْراً، ويُغنِيَ فقيراً، ويُجيبَ دعوةً، قال عن نفسه: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾.

عِلْمُه وسِعَ كلَّ شيء، يعلمُ ما كان وما يكون وما لم يكن، لا تتحرَّك ذرَّةٌ فما فوقها إلَّا بإذنه، ولا تَسقُطُ ورقةٌ إلَّا بعلمه، لا تخفى عليه خافية، استوى عنده السِّرُّ والعَلَانِيَة؛ قال سبحانه: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ

أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾، يسمعُ أصواتَ المخلوقين وهو على عَرْشِه، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ المُجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُكَلِّمُهُ، وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ البَيْتِ مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾» (رواه أحمد)، وأَفْعالُ العباد في ظُلمة اللَّيل البَهيم لا تخفى عليه؛ قال جلَّ شأنه: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾، يرى وهو فوق سمواته دبيبَ النَّملةِ السَّوْدَاءِ على الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ في اللَّيلةِ الظَّلْمَاء.

خَزائنُه مَلْأَى في السَّمَوَات والأرض، ويَداه مَبْسُوطَتَان بالسَّخاء، «**سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»، يُنفِقُ كيف يشاء، كثيرُ العطاء، واسعُ الجُود، يُعطِي قبل السُّؤال وبعده، وينزل «**كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟**»، ومن لم يسأله يغضَب عليه.

وأبوابُ عَطائِه فَتَحها لِخَلْقِه؛ فَسَخَّر بحاراً، وأَجْرَى أنهاراً، وأَدَرَّ أَرْزاقاً، ساقَ لِلْخلق أرزاقهم؛ فرزَقَ النَّملَ في قَرَار الأرض، والطَّيرَ في الهواء، والحِيتانَ في الماء: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾، ورزقُه وسِع الجميع؛ فساق إلى الجنين رزقَه وهو في رحِم أُمِّه، وإلى الجَلَد القوي في مُلكه، كريمٌ يحبُّ العطاء والكرم، إذا سُئِل أَعْطَى، وإذا رُفِعت إلى غيره حاجة لا يرضى، وكلُّ خيرٍ فهو منه ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾.

رِزْقُه لا ينفَد؛ قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «**أَرَأَيْتُم مَا أَنْفَقَ مُذْ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ**» (رواه مسلم)، ولو سَأَلَه العِبَادُ جميعاً فأعطاهم ما سألوه؛ لم يُنْقِصْ ذلك من مُلكِه شيئاً؛ قال النَّبيُّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «**يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي؛ فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ**» (رواه مسلم).

والثَّوابُ على العمل يُضاعِفُه؛ الحسنةُ عنده بعشرة أمثالها إلى سبعِ مئةِ ضِعفٍ إلى أضعافٍ كثيرة، والقليلُ من زمن الطَّاعة يُكثِّره؛ فلَيْلَةُ القَدْر خيرٌ من ألفِ شهر، وصيامُ ثلاثة أيَّامٍ من كلِّ شهرٍ كصِيَام الدَّهر، وإذا أنفق العبدُ مالاً ابتغاءَ وجهه؛ ردَّه له أضعافاً مُضاعفة، ويزيدُ في السَّخاء فوق المُنَى؛ فأعطى أهل الجنَّة فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلبِ بشر، وإذا ترك العبدُ شيئاً من أجله؛ عوَّضه خيراً منه.

غنيٌّ عن جميع خلقه، وكلُّ شيءٍ مُفتقِرٌ إليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾، لا يبلغُ العبادُ نفعَه فينفعوه، ولا ضُرَّه فيضرُّوه، عليٌّ كبير، الكرسيُّ موضع قدمَيْه سبحانه، وقد وَسِعَ الكُرْسيُّ السَّموات والأرض، والسَّمواتُ السَّبعُ في الكُرْسيِّ كدَرَاهِمَ سبعةٍ أُلقِيَت في تُرْسٍ، والكُرْسِيُّ في العَرْشِ كَحَلْقَةٍ من حديدٍ أُلقِيت بين ظهرَيْ فلاةٍ من الأَرض، وعَرْشُهُ أَعظمُ مخلوقاته، وتحتَ العَرْشِ بَحْرٌ، ويَحْمِلُ العَرْشَ ملائكةٌ ما بين شَحْمَةِ أُذُنِ أحدِهِم إلى عاتقه مسيرةُ سبعِ

مئةِ عامٍ، وربُّنا مُسْتَوٍ على عَرْشِهِ - كما يليق بجلاله وعظمته -، وهو مُسْتَغْنٍ عن العَرْشِ وما دونه.

مُحيطٌ بكلِّ شيء، ولا يُحيطُ به شيءٌ، ويُدرِكُ الأبصارَ، والأبصارُ لا تُدرِكُه، وقدرتُه شملَت جميع مخلوقاته، وهي ضعيفةٌ عنده وإن كبُرت في أعين المخلوقين، فالسموات يطويها سبحانه يوم القيامة ثمَّ يأخذهنَّ بيده اليمنى، ثمَّ يقول: «**أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟**» (رواه مسلم)، ويجعلُ «**السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَالخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا المَلِكُ**» (متفق عليه)، وإذا تكلَّم بالوحي أَخَذَتِ السَّموات منه رَجْفَةٌ وصَعِقَ أهلُ السَّماء، وأوَّلُ من يفيقُ جبريل، والسَّموات تَخْشَاه، قال ﷻ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّۚ﴾، قال الضَّحَّاك ﵀: «أَيْ: يَتَشَقَّقْنَ فَرَقاً مِنْ عَظَمَةِ اللَّهِ - أَيْ: خَوْفاً مِنْهُ -».

قَيُّومٌ «**لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ القِسْطَ وَيَرْفَعُه، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**» (رواه مسلم)، الأمرُ يُدبِّره ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾، ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

قويٌّ لا يُعجِزُه شيء، إذا أَرَادَ شيئاً قال له: كُنْ؛ فيكون، وأمرُه كَلَمْح البَصَرِ؛ بل هو أقرب، وله جنودٌ لا يعلمها أحدٌ سواه، قلَبَ قُرى قوم لُوطٍ وجعل عاليَها سافلها، ولمَّا امْتَنَعَ بنو إسرائيل عن قبول ما في التَّوراة رفع جبلاً فوق رؤوسهم كأنَّه ظُلَّةٌ وظنُّوا أنَّه واقعٌ بهم، وتجلَّى سبحانه لجبلٍ فجعله دكّاً، ولما رأى موسى ذلك خرَّ صعِقاً.

والأرضُ إذا انقضى الدَّهرُ يرُجُّها رجّاً، ويدُكُّها دكّاً، ويَنْسِفُ الجبالَ نسفاً. وبِنَفْخَةٍ واحدةٍ في الصُّوْر ينفُخُ فيه إسرافيل؛ يفزعُ الخلق، وبِنَفْخَةٍ أخرى يُصْعَقون، وبثالثةٍ يقومون للحشر. وإذا نزل سبحانه لِفَصْلِ القضاء؛ تَشَقَّقَتِ السَّماءُ لنزوله تعظيماً له وخَشْيَة.

واللَّهُ سبحانه فوقَ ما يصِفُه الواصِفون، ويَمدحُه المادِحون، لا نِدَّ له ولا نظيرَ، ولا شبيهَ ولا مثيلَ، عَرَفَ الرُّسلُ ربَّهم فأكثَروا له التَّذلُّلَ والتَّعبُّدَ والخضوع؛ فكان داودُ عليه السلام يصومُ يوماً ويُفطِرُ يوماً، ونبيُّنا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم يقومُ اللَّيل حتى تَتفطَّرَ قدماه، وإبراهيمُ عليه السلام أوَّاهٌ لِربِّه مُنيب، ومَنْ سَلَكَ نَهْجَ الأنبياء؛ نال السَّعادةَ والرَّخاء.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه على إحسانِه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهدُ أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريكَ له تعظيماً لشأنه، وأشهدُ أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

لا أحدَ أَحبُّ إليه المدحَ من اللَّه، ولذا أَثْنَى على نفسه، وأصلُ التَّفاضُلِ بين النَّاس إنَّما هو بمعرفةِ اللَّه ومَحبَّتِه والثَّناءِ عليه، ومَنْ عرفَ اللَّهَ وقلبُه سليم؛ أحبَّه وعظَّمه، وكلَّما ازدادَ له معرفةً ازدادَ له طاعة.

والذُّنوبُ تُضعِفُ تعظيمَ اللَّهِ وَوَقارَه، ولو تمكَّن وقارُ اللَّه وعظمتُه في قلب العبد ما تَجَرَّأ أحدٌ على معاصِيه، وكلُّ مَعصيةٍ فمِنَ الجهل باللَّه.

وإجلالُ اللَّه يَعْظُم بالطَّاعات، وأعظمُ عبادةٍ يَتقرَّبُ بِها العبدُ من ربِّه؛ هي إفرادُه بالعبادة، فلا يُسألُ إلَّا هو، ولا يُستغاثُ إلَّا بِه، ولا تُصرفُ أيُّ عبادةٍ إلَّا لَهُ وحدَه.

ومَنْ عبدَ معَ اللَّهِ غيرَه؛ فما قدَرَ اللَّهَ حقَّ قَدْرِه، وظَلَمَ نفسَه بالوقوع في الشِّرْك، ومَنْ هداه اللَّه لتعظيم الرَّبِّ وإفراده بالعبادة؛ وجب عليه أن يدعوَ غيرَه إلى توحيدِ اللَّه وتعظيمِه.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

تَعْظِيمُ اللَّه (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهدِه اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واسْتَمْسِكُوا من الإسلام بالعُرْوَةِ الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

شرفُ العلمِ بشرفِ المعلُوم، وأشرفُ العلومِ وأزكاها: العلمُ باللَّه، والحاجةُ إلى معرفتِه سبحانه وتعظيمِه فوق كلِّ الحاجات؛ بل هي أصلُ الضَّرُورات.

واللَّهُ فطرَ عبادَه على محبَّتِه ومعرفتِه، والقلبُ إنَّما خُلق لذلك: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾، وهي الحَنِيفيَّةُ التي يُولَدُ عليها كلُّ مولودٍ، وشياطينُ الجنِّ والإنسِ يسعَوْن لحرفِ فِطَر

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الرابع والعشرين من شهر جمادى الأولى، سنة سبع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

الخلق، قال اللَّهُ في الحديث القُدسيّ: «**خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ؛ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ**» (رواه مسلم)، وكلُّ مُسلمٍ مأمورٌ بِتَعاهُدِ فِطرتِه لِتعودَ المُنحرِفةُ إلى أصلِها، ويزدادَ الَّذين آمنوا إيماناً.

واللَّهُ أقامَ آياتِه دليلاً على ربوبيَّته وألوهيَّته، ولو كان ماءُ البحر مِداداً وجِيء ببحورٍ تمُدُّه لَمَا نفِدَت كلماتُ اللَّه وآياتُه الدالَّةُ عليه.

والرُّسُلُ بُعِثوا لِتقريرِ الفِطْرَةِ وتَكميلِها، وتوحيدُ الرُّبوبيَّة بإفرادِ اللَّه بأفعالِه من أعظمِ ما جاؤُوا به، فهو أصلٌ من أصولِ الإيمان، وأحدُ أنواع التَّوحِيدِ الَّذي لأجله خلقَ اللَّهُ العباد، وهو دليلٌ على وحدانيَّتِه في الأُلوهيَّة، وبه احتجَّ اللَّهُ على إفراده بالعبادة، والشِّركُ فيه أعظمُ وأقبحُ أنواع الشِّرك، ولا يغلَطُ في الإلهيَّة إلَّا من لم يُعطِه حقَّه.

واللَّهُ سبحانَه كاملٌ في ذاتِه وصفاتِه وأفعالِه، ومِنْ صِفَاتِه جلَّ شأنُه: **الرُّبوبيَّةُ**؛ لا شريكَ له فيها، كما لا شريكَ له في أُلوهيَّتِه، قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾.

وهو سبحانَه المُتفرِّدُ بالخلق والمُلك والرِّزق والتَّدبير، خالقٌ ولا خالقَ معه، بديعُ السَّمواتِ والأرض، خلقَ فسوَّى وأحسنَ كلَّ شيءٍ خَلَقَه وهو الخلَّاقُ العليم، وكما بدأَ الخلقَ سيُعيدُه يومَ القيامة وهو أهونُ عليه، وكلُّ من سِوى اللَّه لا يَستحِقُّ العبادة، واللَّه المُستحقُّ لها وحدَه؛ لأنه الخالِق: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

وهو سبحانَه المَلِكُ والمُلكُ له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾، ومالِكُ لخلقِه، له ما في السَّموات وما في الأرض، وجميعُ الخلقِ له قانِتون ومُسبِّحون، وكلُّهم له يَسجُدون.

هو السَّيِّدُ لا شريك له والجميعُ عَبيدُه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾، له المُلكُ التَّامُّ الدَّائِمُ، مالِكُ الدُّنيا ويومِ الدِّين، وفي الآخرة يَتجَلَّى ويقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ﴾؛ فيُجيبُ نفسَه بقوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

انفردَ سبحانه بتدبير شُؤون خلقِه ومُلكِه، فالأمرُ كلُّه بيدِه وحدَه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ﴾، يأمرُ وينهَى، ويخلُقُ ويرزُقُ، ويُعطِي ويمنَعُ، ويَخفِضُ ويرفَعُ، ويُعِزُّ ويُذِلُّ، ويُحيِي ويُميت: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ﴾، ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ﴾.

جميعُ الخلقِ تحتَ قَهْرِه ومشيئتِه، وقلوبُ العباد ونواصِيهم بيدِه، وأزِمَّةُ الأمورِ معقُودةٌ بقضائِه وقَدَرِه، قائِمٌ على كلِّ نفسٍ بما كسبَت، والسَّماءُ والأرضُ قائمةٌ بأمره، ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ﴾، و﴿يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ﴾، وكلُّ من في السَّموات والأرض يسألونَه ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾، ومِنْ جُمْلَةِ شُؤونِه: يَغفِرُ ذنباً، ويهدِي ضالّاً، ويُفرِّجُ همّاً، ويَجْبُرُ كسراً، ويُغنِي فقيراً، ويُجيبُ دعوة، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾.

أوامرُه مُتعاقبة، ومشيئتُه نافِذة، لا تَتحرَّكُ ذرَّةٌ في الكون إلَّا بإذنه، فما شاءَ كانَ، وما لم يشَأْ لم يكُن، يَخلُقُ ما يشاءُ، ويَفعلُ ما يُريد، وكان أمرُه قَدَراً مَقدُوراً، لا مانِعَ لِمَا أعطَى، ولا مُعطِيَ لِمَا مَنَع، ولا مُعقِّبَ لحُكمه، ولا رادَّ لِقضائِه، ولا دافعَ لمُراده، ولا مُبدِّل لكلماته، قدَّر مقاديرَ الخلقِ قبلَ خلقِ السَّموات والأرضِ بخمسينَ ألفَ سَنَة، ولو اجتمعَ الخلقُ على شيءٍ لم يَكْتُبْه اللَّه لِيَجْعَلُوه كائناً؛ لم يَقدِروا عليه، ولو اجتمَعوا على ما هو كائنٌ لِيمنَعوه؛ لم يقدِروا عليه، ولو اجتمعَت الأُمَّةُ على ضُرِّ عَبْدٍ واللَّهُ لم يُرِد ضُرَّه لم يضُرُّوه، ولو اجتمعَت على نفعِه واللَّهُ لم يأذَن بنفعِه لن ينفَعوه، يهدِي من يشاءُ فضلاً، ويُضِلُّ من يشاءُ عدلاً، إذا أرادَ شيئاً فإنما يقولُ له: كُن؛ فيكون: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾.

كلامُه أحسنُ الكلام، لا بدايةَ لكلماته ولا نهايةَ لها: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾.

وعلمُه تعالى وسِعَ كلَّ شيءٍ، فيَعلمُ ما كان وما يكونُ وما لم يكُنْ وما لا يكُون، ويعلمُ ما فعله الخلقُ وما سيفعَلونه، ويعلمُ ما في البرِّ والبحر، وما تَسقطُ من ورقةٍ إلَّا يعلمُها، و﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾ أي: لا يغيبُ عنه ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، يعلمُ ما هو غائبٌ عنَّا وما هو شاهِد، ويعلمُ ما تُوسوِسُ به النُّفُوسُ، وما تنطوِي عليه خبايا الصُّدور، ويعلمُ ما تحمِلُه الأُنثَى في البُطون، ومفاتِحُ الغيب لا

يعلمُها إلَّا هو، وعلومُ الخلقِ كلِّهم كَقطرةٍ من بحرِ علمِه، وما عِلمُهم إلَّا بمشيئتِه، نَقَرَ عصفورٌ في البحر، فقال الخضرُ لموسى عليهما السلام: «**مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا العُصْفُورُ مِنَ البَحْرِ**» (متفق عليه).

سَمْعُه وسِعَ الأصوات، فلا تَخْتلِفُ عليه ولا تَشْتَبِه؛ اشتكَتِ امرأةٌ زوجَها عند النَّبيِّ ﷺ، وعائشةُ رضي الله عنها في ناحية البيت، ويَخفَى عليها بعضُ كلامها، واللَّهُ من فوقِ سبع سمواتٍ سمِعَ كلامَها وأنزلَ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾.

وبَصَرُه أحاطَ بجميع المَرئيَّات، فأفعالُ العبادِ في ظُلمةِ اللَّيلِ لا تَخفَى عليه، وكلُّ أعمالِهم هو لها بالمِرصاد.

ولأنَّ الخلقَ خلقُه فالحُكمُ له وحْدَه؛ قال سبحانه: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، وأحكامُه وحدودُه وتَشْريعاتُه خيرُ الأحكام، ولا أحسنَ منه حُكماً ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾، يَحْكمُ ولا مُعقِّبَ لحُكمه ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾، لا أرحمَ منه؛ فهو أرحمُ الرَّاحمين وخيرُهم، أرحمُ من الوالِدة بولدِها، رحمتُه وسِعَت كلَّ شيءٍ، له سبحانه مئةُ رحمةٍ؛ أنزلَ واحدةً يتراحَمُ الخلقُ بها فيما بينهم، وأمسكَ عنده تسعاً وتسعين.

كريمٌ لا أكرمَ منه، يُحبُّ الإحسانَ والعطاءَ لخَلْقِه، يَرزقُهم مِنْ فوقِهم ومِنْ تَحْتِهم، فضلُه عظيمٌ، وخزائنُه لا تنفَد: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ويدُه مَلْأَى لا تَغيضُها نفقة، «**سَحَّاءُ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ**»، قال ﷺ: «**أَرَأَيْتُم مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ**

لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ» (متفق عليه)، يُجيبُ دَعواتِ العباد، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، ولا تَتعاظَمُه حاجةٌ أن يُعطِيَها، ولو أنَّ العبادَ - أوَّلَهم وآخِرَهم، وإنسَهم وجِنَّهم - قامُوا في صعيدٍ واحدٍ فسألوه، فأَعْطَى كلَّ واحدٍ مَسْألتَه، ما نقصَ ذلك مِمَّا عنده إلَّا كما ينقُصُ المِخيَطُ إذا أُدخِل البحر.

وتَكفَّلَ سبحانه برزقِ كلِّ مخلُوقٍ - من الإنسِ والجنِّ، مُسلِمِهم وكافرِهم - ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾، وهو خيرُ الرَّازقين، فتحَ أبوابَ الخير لعباده، فَسخَّر بِحاراً، وأجرَى أَنْهاراً، وأَدَرَّ أَرْزاقاً، وأعطَى عبادَه نِعَماً كثيرةً وهم لم يسألُوه إياها، ومن كلِّ ما سألُوه آتاهم، ويَعرِضُ على عبادِه سُؤاله فيقولُ كلَّ ليلة: «مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟» (متفق عليه)، كلُّ خيرٍ فهو منه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾، وأَوْصَلَ لكلِّ مخلوقٍ رزقَه، فَرَزَقَ الجنينَ في بطن أمِّه، والنَّملَ في جُحره، والطَّيرَ في جوِّ السَّماء، والحِيتَانَ في لُجَج الماء: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾.

قريبٌ مُجيبٌ، ومَنْ لم يسأَلْه يغضَبْ عليه، والمحرُومُ من طمِعَ بغير ربِّه، ولا أحدَ أصبرُ على أذًى يَسْمعُه من اللَّه، يُشرِكون به، ويَدَّعُون له الولدَ، ثم هو يُعافِيهم ويَرزُقهم.

وفَّق - فضلاً منه وكَرَماً - أهلَ طاعته، وأثابَهم بعد تَوفيقِه، شكورٌ يَجزِي على القليل ويُجزِلُ على الكثير؛ الحَسنةُ عنده بِعَشرة أضعافِها إلى أضعافٍ كثيرة، وأعدَّ لعباده في الجنَّةِ ما لا عينٌ رأَت، ولا أُذنٌ

سمِعَت، ولا خَطرَ على قلبِ بشر، ولا يَزالُ يَسترْضِيهم فيقولُ: «هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ! وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً» (متفق عليه).

غنيٌّ بذاتِه، صَمَدٌ تَصْمدُ إليه الخلائِقُ في حاجاتها، وسيِّدٌ كاملٌ لا جـوف لـه: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، و﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾، ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾، لن يُطاعَ إلَّا بفضلِه، ولا يُعصَى إلَّا بعلمِه، غنيٌّ عن خلقِه، قائمٌ بنفسِه، وكلُّ شيءٍ قائمٌ به مُفتقِرٌ إليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾، لا تنفعُه طاعةُ الطَّائِعين، ولا تَضُرُّه معصيةُ العاصِين، لو كان الإنسُ والجنُّ على أتقَى قلبِ رجُلٍ واحدٍ ما زادَ ذلك في مُلكه شيئاً، ولو كانوا على أفجَر قلبِ رجُلٍ واحدٍ ما نقصَ ذلك من مُلكِه شيئاً، لن يبلُغ العبادُ نفعَه فينفعُوه، ولن يبلُغوا ضُرَّه فيضُرُّوه.

حيٌّ قيُّومٌ، لا تأخذُه سِنةٌ ولا نوم، يخفِضُ القسطَ ويرفعُه: «يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّوْرُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ».

كبيرٌ عظيمٌ، جبَّار مَتِينٌ، العِزَّةُ إزارُه، والكِبْرياءُ رِداؤُه، قويٌّ لا ظهيرَ له، وعليٌّ لا مثيلَ له، كلُّ شيءٍ هالِكٌ إلَّا وجهَه.

مُحيطٌ بكلِّ شيءٍ ولا يُحيطُ به شيءٌ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾، ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾، لا يُسْتَشفَعُ به على أحدٍ من خلقه، ولا يَشفعُ عنده أحدٌ إلَّا بإذنه، وكُرْسِيُّه - مَوضِعُ قدمَيه - وَسِع السَّمَواتِ والأرضَ، و«مَا الكُرْسِيُّ فِي العَرْشِ، إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ فِي فَلَاةٍ».

والعرشُ أعظمُ المخلُوقات، يَحْملُه ملائكةٌ ما بين شَحْمَةِ أُذُنِ أَحَدِهم إلى عاتقِه مسيرةُ سبعِ مِئَةِ عامٍ.

واللَّهُ مُسْتوٍ على عَرْشِه - كما يَليقُ بجلالِه - وهو مُسْتَغْنٍ عن العَرْشِ وما دُونَه: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾ أي: يَتَشقَّقن؛ خوفاً من عظمة اللَّه، وإذا تكلَّمَ بالوحي أخذَتِ السَّمواتِ منه رَجفةٌ وَرِعْدةٌ شديدةٌ، وصَعِقَ أهلُ السَّموات، وخرُّوا للَّهِ سُجَّداً.

هو الأوَّلُ فليس قبلَه شيء، والآخرُ فليس بعدَه شيء، والظَّاهرُ فليس فوقَه شيء، والباطنُ فليس دونَه شيء، قادرٌ على كلِّ شيءٍ وله القوَّةُ جميعاً، لا يُعجِزُه شيءٌ في الأرض ولا في السَّماء، أمرُه كَلَمْحِ البَصَر؛ بل هو أقربُ، وله جنودٌ لا يعلمُها إلَّا هو، وإذا انقضَى أمرُ الدُّنيا يَرُجُّ الأرضَ رجّاً، ويَدُكُّها دكّاً، ويُسَيِّرُ الجبالَ سَيْراً، ويَنسِفُها نَسْفاً، وبِنَفخةٍ يَفزَعُ الخلقُ، وبأُخرى يُصعَقون، وبثالثةٍ يَقومون للمحشَر.

سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ تَنَزَّه عن كلِّ عيبٍ ونقصٍ، له من الكمالِ أعلاه، ومن التَّمام والجَمال أَسْناه، لا نِدَّ له ولا مَثيلَ، ولا سَمِيَّ له ولا نَظيرَ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

أفلا يَجبُ علينا أن نُحِبَّ ربَّنا الذي هذه صفاتُه وأفعالُه، وأن نَحمدَه، ونُثنِيَ عليه، ونُخلِصَ له العبادة.

ومَنْ عَرفَ اللَّهَ اقتربَ منه، وخَضعَ له، وذَلَّ، وأنِسَ به، واطْمأنَّ، ورجَا ثوابَه، وخافَ عقابَه، وأنزلَ به حاجاتِه، وتَوكَّلَ عليه.

ومَنْ مدَحَ اللَّه وأَكْثرَ من ثنائِه ارتفع، فلا أَحدَ أحبُّ إليه المدحُ من اللَّه، مِنْ أَجْلِ ذلك مدحَ نفسَه، ومَنْ أحبَّ اللَّهَ وعبَدَه أحَبَّه اللَّه ورضِيَ عنه وأَدْخلَه الجَنَّة.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّهِ على إحسانِه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

مَنْ أشركَ باللَّهِ غيرَه من المخلُوقين؛ فقد تنقَّص ربَّ العالمين، وأساءَ به الظَّنَّ، وسوَّى غيرَه به.

والشِّركُ يُحبِطُ جميعَ الأعمال، ولا يغفِرُ اللَّهُ لصاحبِه، ولا يُدخِلُه الجنَّةَ، وهو في النَّار من الخالدِين، والشِّركُ أشدُّ تغيُّرٍ أصابَ الفِطْرة، وأكبرُ فسادٍ في الأرض، وأصلُ كلِّ بلاءٍ، ومَجمعُ كلِّ داءٍ، ضررُه عظيم، وخطرُه وخيم.

والمعاصِي شُؤمُها كبيرٌ، تجتمعُ على العبدِ فتُهلِكُه، وتَحُولُ بين المَرْءِ وبينَ قلبِه، وبقَدر ما يَصْغُرُ الذَّنبُ في العين يَعْظُمُ عند اللَّه؛ فَلا تنظُرْ إلى صِغَر المعصيةِ، ولكن انظُر إلى عَظَمَةِ من عَصَيْتَ.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفِرُه، ونَعوذُ باللَّه من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا مَن يهدِه اللَّه فلا مضلَّ له ومَنْ يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالنَّعيمُ في اتِّباع الهُدى، والشَّقاءُ في موافقة الهَوى.

أيُّها المسلمون:

خَلقَ اللَّه الخلقَ لتكون الطَّاعةُ له والتَّذلُّلُ إليه، وكَمالُ السَّعادة في معرفةِ اللَّهِ والإيمانِ به، ومعرفةُ العبدِ ربَّه هو الأصلُ الأولُ الذي يجبُ على الإنسانِ معرفتُه، وهو أوَّلُ ما يُسألُ عنه العبدُ في قَبرِه، أَوْجَدَ اللَّهُ الخلقَ بعدَ عَدَم، وأغْدقَ عليهم من النِّعم، وضَمِنَ لهم الرِّزقَ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾.

أَوجدَ العالمين بعدَ أن لم يكونوا شيئاً: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الخامس عشَر من شهر صَفَر، سنة ست وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾، ربٌّ متفرِّدٌ بالخلق والرَّزق والتَّدبير: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

مُتفرِّدٌ بالوحدانية، مُتَّصِفٌ بالعَظَمة والجَبَرُوت، مقاليدُ الأمورِ كلِّها بيديه، قويٌّ متينٌ، قاهرٌ فوقَ عباده، لا يرضى أن تُصْرفَ العبادةُ إلَّا لــــه: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ﴾.

نَصَبَ في كلِّ مخلوقٍ آيةً دلالةً على وحدانيَّتِه؛ لِيزدادَ تعلُّقُ القلبِ بِربِّه، آيتان تَتَعاقبانِ علينا تُذكِّرُنا بوحدانيَّةِ اللَّه: ليلٌ يَغْشى ونهارٌ يَتجلَّى، يَطلُب كلٌّ منهما الآخرَ طلباً سريعاً: ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا﴾، والشَّمسُ والقمرُ يجريانِ في مسارٍ دقيق، أبهر ذوي العقول، هذه تُشرِقُ وذاكَ يُدبِر، سَيرٌ مُنتظِمٌ لا يتقدَّمُ ولا يتأخَّر: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾، أرضٌ تُقِلُّنا، وسماءٌ تُظِلُّنا، لا غنى لنا عن أَحدِهما، خَلْقٌ مُتْقَنٌ وتَدبيرٌ من بديع: ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾.

والمسلمُ يعتزُّ إذا كان عبداً لِمُدَبِّر هذا الكونِ العظيم: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾، لا يَعبدُ إلَّا ربَّ هذا الكونِ ﷻ، ولا يَصرِفُ شيئاً من أنواع العبادةِ لغيره، يَلجأُ إليه في المُلِمَّات، ويَخافُ منه وحدَه في العلانيةِ والخفيَّات: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ﴾، فلا يخافُ من ميِّتٍ أن يضرَّه بسوءٍ، أو يرجو منه إحساناً.

والفزعُ إليه وحدَه رُجْحَانٌ في العقل، وأمانٌ في القلب، وطمأنينةٌ على الرُّوح، ومَنْ خافَ ربَّه لم يُفْزِعْهُ أحدٌ؛ بل هو ثابتُ القلبِ ساكنُ الجوارح، وأَنْعِمْ بِنَفْسٍ لا تَأْنَسُ إلَّا مع اللَّه: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، يقولُ أبو سليمانَ الدَّارَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا فَارَقَ الخَوْفُ قَلْباً إِلَّا خَرِبَ».

وأقربُ العبادِ إلى اللَّهِ أخوفُهم منه، يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً**» (متفق عليه)، وهو مِنْ لَوازمِ الإيمانِ ومُوجباتِه، ومَنْ خافَ ربَّه وحْدَه فُتِحتْ له أبوابُ الجِنَان؛ قال سبحانه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾، قال أهلُ العلم: «لَا يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ بَيْنَ خَوْفَيْنِ؛ فَمَنْ خَافَهُ فِي الدُّنْيَا أَمَّنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ أَمِنَهُ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَخَفْ رَبَّهُ أَخَافَهُ فِي الآخِرَةِ»؛ فراقِبْ ربَّكَ وخَفْ من خالقِكَ، تَكُن أَسْعدَ الخلقِ عندَ اللَّه.

ولا تَرْجُ مِن غيرِ اللَّه تحقيقَ مرغوبٍ أو سلامةً من مرهوبٍ - من: زوال علَّةٍ، أو شفاء سُقْمٍ، أو طَلَبِ رِزقٍ، أو جَلْب عافيةٍ -، وحَقِّقْ رجاءك باللَّه دون سِواه؛ فالخلقُ مجبولون على الضَّعف، عاجزونَ عن جَلْبِ النَّفع لأنفسِهم، ودفعِ الضُّرِّ عنهم، وهم أَعْجزُ عن ذلك لغيرهم، ومَا رَجَا أحدٌ مخلوقاً إلَّا خابَ ظنُّه فيه، فلا تُعَلِّقْ أَطْماعَك وأَمَلَك بغير اللَّه، فلنْ تَجْنِيَ سِوى العَدَم وذُلِّ المسألة، وَارْجُ كَرَم اللَّه وعطاءَه وجَزيل مِنَنِهِ، فرجاءُ مَا عندَ اللَّه تعبُّد، وفي ذُلِّ القلب للَّه عزَّةُ النَّفسِ ورفعُ الدَّرجاتِ وتحقيقُ المأمول.

وراحةُ النَّفسِ في تفويضِ أمرِها لِخالقِها، ويَزدادُ تعلُّقُها بِبارِئِها إذا تذكَّرَتْ أنَّ الرَّبَّ عليمٌ بِحالِها، رحيمٌ بأمرِها، قديرٌ على كشفِ ضُرِّها، ولِمَ التَّعلُّقُ بمخلوقٍ عاجزٍ عن كشف الضُّرِّ قَتورٍ في العطاء؟! وربُّك كافيك جميعَ أمورِك؛ وهو متولِّيها إن أَلْقَيتَ إليه حاجاتِك وسلَّمت إليه مقاليدَ أمورِك ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾.

والسَّعيدُ هو الرَّاغب في رحمةِ اللَّه، الرَّاهبُ مِنْ عذابه، الخاضعُ المُتذلِّلُ في عبادته لمولاه، وتلك المحامدُ السَّنيَّة اتصفتْ بها بيوتُ الأنبياء؛ قال سبحانه عن زكريَّا عليه السلام وأهلِه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾، والرُّسلُ سبَّاقون إلى الرَّغبةِ فيما عندَ اللَّه؛ قال سبحانه لنبيِّه مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾، وهي تنحَسِرُ عن العبد على قَدْر ذُنوبه، وتَزيدُ بزيادةِ إيمانه، قال ابن القيِّم رحمه الله: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِه خَيْراً، وَفَّقَهُ لِاسْتِفْرَاغِ وُسْعِهِ وَبَذْلِ جُهْدِهِ فِي الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُمَا مَادَّتَا التَّوْفِيقَ، فَبِقَدْرِ قِيَامِ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ فِي القَلْبِ يَحْصُلُ التَّوْفِيقُ».

والخشيةُ من المخلوقِ ذُلٌّ ومهانةٌ، ومَنْ خَشِيَ مِنْ خَالِقِه عاشَ عزيزاً، وفي حياته سعيداً، وأنارَ بصيرتَه فكان مُتذكِّراً، قال سبحانه: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾، واتَّعَظَ بالمواعظِ والعِبَر؛ قال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾، وكان كتابُ اللَّهِ له سعادةً وذِكْرى: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ * إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾، وهي موجبةٌ لِمغفرةِ اللَّهِ وجزيلِ نوالِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾؛ فاجعلْ ربَّك بين

ناظِرَيْك، ولا تَأْمَنْ مِنْ مَكْرِهِ وحُلولِ عُقوبَتِه، ولا تَخْشَ غيرَ اللَّهِ في قَطْع رِزْقٍ أو تأخُّر شفاءٍ أو حلولِ شقاءٍ، قال سبحانه: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

والعبدُ ضعيفٌ بنفسه مفتقرٌ إلى عونِ ربِّه القويِّ، وبالاستعانة به ﷻ تَسْتغْني عن الاستعانة بالخلق، ومَنْ سعى في تحقيقِ مطلوب ولم يكن مستعيناً باللَّه مفتقراً إليه في حُصوله؛ أُغْلِقتْ في وجهه الدُّروب، وتَعسَّرت أَمامَه المكاسب، يقولُ النَّبيُّ ﷺ لابن عبَّاس رضي الله عنهما: «**يَا غُلَامُ! إنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**» (رواه الترمذي).

والاستعانةُ عليها مَدارُ الدِّين: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وبها أَمرَ الرُّسلُ أقوامَهم: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟﴾، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «الدِّينُ: أَنْ لَا يُعْبَدَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يُسْتَعَانَ إِلَّا بِهِ».

وكَمالُ غِنَى العَبْدِ في تَعَلُّقِه بربِّه، ومِنْ فضلِ اللَّه على عباده أنَّ مَنْ تَعلَّقَ به أعانَه، والرِّزق يَتَيَسَّرُ بالطَّاعة والاستعانة، ويزدادُ بالتَّوكُّلِ والاستكانة، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

والحياةُ مليئةٌ بالآفاتِ والمَكَارِه؛ قال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾، ولكلِّ مخلوقٍ أعداءٌ من الجنِّ والإنسِ وفي مقدِّمتهم إبليسُ - لَعَنَهُ اللَّهُ -؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾، ولا

غنى للعبدِ من الاحتماءِ بِجَنابِ اللَّه، والاستعاذة به وحدَه، والاعتصامُ بحماهُ من الشُّرور، والرَّبُّ متَّصفٌ بالجَبَرُوت والعِزَّة؛ مَنِ اعْتَصَمَ به لم يَنَلْه أذى أحدٍ، وتَخَلَّفَ عنه الضَّررُ ولو معَ وجودِ السببِ؛ قال ﷺ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً، ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**» (رواه مسلم)، قال القُرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مُنْذُ سَمِعْتُ هَذَا الخَبَرَ عَمِلْتُ عَلَيْهِ؛ فَلَمْ يَضُرَّنِي شَيْءٌ إِلَى أَنْ تَرَكْتُهُ، فَلَدَغَتْنِي عَقْرَبٌ بِالمَهْدِيَّةِ لَيْلاً، فَتَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي فَإِذَا بِي قَدْ نَسِيتُ أَنْ أَتَعَوَّذَ بِتِلْكَ الكَلِمَاتِ».

والمخلوقُ يتعرَّضُ للأذى، ولَنْ تَهْنَأَ حياتُه إلَّا بالاعتصام باللَّه واللِّياذة به، فالضَّررُ والنَّفعُ كلُّه بيد اللَّه، ومَنْ سعى للإضرار بك لم يتحقَّقْ له مُنَاه ما لم يشأِ اللَّه ذلك؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ**» (رواه الترمذي)، وقد أَمرَ اللَّه نبيَّه ﷺ أن يَستعيذَ بخالقِ الإصباحِ من شرِّ جميع المخلوقات، ومن شرِّ الغاسقِ والحاسد، والقادرُ على إزالة هذه الظُّلمة عن الكون؛ قادرٌ أن يَرفعَ عن المُستعيذِ ما يَخافُه ويَخشاه، والمُعتصمُ باللَّه المستعيذُ به في كلِّ شأنٍ في حصنٍ مكينٍ من أهل الشُّرورِ والماكرين.

وربُّنا لا مَفْزعَ لنا في الشَّدائدِ سواه، ولا ملجأَ لنا مِنْهُ إلَّا إليه، والمستغيثُ باللَّه المُستجيرُ به يَطْرقُ أخصَّ أنواع الدُّعاء، والاستغاثة بالرَّبِّ العظيمِ مَفْزَعُ الأنبياء والصَّالحين في الشَّدائدِ والمكائد؛ قال

سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، وقال سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾.

ومَنْ دَعَا الأمواتَ فنِداؤُه لا يُسمع، وحاجاته لا تُرفع؛ قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾، فإذا حلَّتْ بك الخُطوب، واشْتدَّتْ بك الكُروب، فاسْتَغِثْ بعلَّامِ الغُيوب: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.

وإفرادُ اللَّه بأفعال العباد نقاءٌ في المُعتقد، وسعادةٌ تَعُمُّ المجتمع، وطُمأْنِينَةٌ في النُّفُوس.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه على إحسانِه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

أبوابُ السَّعادةِ والخيرِ تُفْتَحُ بِتَعَلُّقِ القلبِ باللَّه، وتُغْلَق أبوابُ الشُّرورِ بالتَّوبة والاستغفار، وعافيةُ القلبِ في ترك الآثام، ونعيمُ الدُّنيا في انجذابِ القلبِ إلى اللَّه حُبّاً له وخوفاً منه ورجاءَ فضلِه، فالخوف يُبْعِدُكَ عن معصيةِ اللَّه، والرَّجاءُ يَدْفعُك إلى طاعته، ومَحبتُه تَسوقُك إليه سوقاً؛ فاجعلْ أعمالَك كلَّها خالصةً للَّه، قائمةً على أكْملِ الوجوه في الظَّاهرِ والباطنِ، مع اليقينِ بأنَّ اللَّهَ مُطَّلعٌ على السَّرائر والنِّيَّات، بصيرٌ عليمٌ بالخفيَّات.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّهَ أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

عَقِيدَةُ المُسْلِمِ [١]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمن اتَّقى ربَّهُ نجا، ومَنْ صدَّقه لم يَنلْه أذى، ومَنْ رجاه كان له نِعْم المُرتجى.

أيُّها المسلمون:

إنَّ دينَ الإسلام في غاية الكمال، دِينٌ شاملٌ لِجميعِ مصالحِ البشر، فيه من العبادات والمعاملات والحدود والتَّعزيرات ما يزُكِّي الفرد والجماعة، ويحفظ المجتمع من الفوضى والاضطراب، وما يَردَع النُّفُوس البشريَّة ويكبَح جماحها عن ارتكاب المنكرات واجتراح السَّيِّئات، يَسْمُو بالإنسان عن دنايا الأمور، ورديءِ الأخلاق، لا سعادةَ لأيِّ فردٍ في الحياة إلَّا بتمسُّكِه بدينه، والحسنةُ تعظُم، ويَكثرُ ثوابُها بزيادة الإيمان والإخلاص، والعملُ يُحبَطُ ثوابُه بالإشراك.

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الرابع عشَر من شهر ذي الحِجة، سنة إحدى وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

ولقد كان في قريشٍ أُناسٌ يَتعبَّدون ويَحجُّون ويَعتمرُون ويَتصدَّقون ويَصِلُون الرَّحِم، ويُكرمون الضَّيف، ويَعترفون أن اللَّه وحده هو المُتفرِّد بالخلق والتَّدبير، ويُخلصون للَّه العبادةَ في الشَّدائد، ولكنهم يتَّخذون وسائط بينهم وبين اللَّه، يدعونهم ويذبحون لهم ويَنذُرون لهم ويَستغيثون بهم لِيشفَعوا لهم، زعماً منهم أنهم أقربُ منهم إلى اللَّه وسيلةً، فبعث اللَّه مُحَمَّداً يجدِّدُ لهم دين أبيهم إبراهيم عليه السلام ويُخبرُهم أنَّ العبادةَ محضُ حقٍّ للَّه، وأنَّ فِعلَهم هذا أفسدَ جميعَ ما هم عليه من العبادات، ثمَّ قاتلَهم لِيَكونَ الدُّعاءُ والذَّبح والنَّذر والاستغاثة وجميعُ أنواع العبادة كلُّها للَّه وحده.

وطلبُ شفاءِ المرضى وغفرانِ الذُّنوب وغير ذلك ممَّا لا يقدر عليها إلَّا اللَّه، لا تُطلب إلَّا منه سبحانه، والقبورُ والأضرحةُ لا تُقصَدُ لأجل الدعاءِ والصلاةِ عندها، إنَّما القبورُ هي مساكنُ للموتى إمَّا نعيمٌ عليهم، وإمَّا جحيم.

ومِنْ أَعظمِ العصيانِ الاستغاثةُ بهم، والاستغاثةُ بالمخلوق فيما لا يقدر عليه؛ كاستغاثة الغريق بالغريق، وما رجا أحد مخلوقاً رجاء كاملاً إلَّا خاب ظنُّه فيه؛ فتوجَّهْ إلى اللَّه؛ فاللَّهُ يرزق بسبب وبلا سبب، ومن حيث لا تحتسب، وكفى باللَّه وليّاً ونصيراً.

وكفَّارة الشِّرك: التَّوحِيدُ، والحسناتُ يذهبن السَّيِّئات، ومَنْ رَجَا من غيرِ ربِّه قضاءَ حاجتِه وصَرَفَ القلبَ عن التَّعلُّق بخالقه؛ عاش خيالاً وطلب مُحالاً.

وطلبُ دفعِ الأذى من غير اللَّه بالرُّقى والتَّمائم تعلُّقٌ بغير اللَّه، يقول ﷺ: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ» (رواه أحمد)، والتَّميمةُ جمادٌ لا تَرُدُّ من أمر اللَّه شيئاً، لا تَعصِم مِنَ الآفات، ولا تَمْنعُ المكروهات، ولا تُحَقِّق المبتغى، ومن عَلَّقها على أعناق الصِّبيان أو النِّساء أو غيرهم وَكَله اللَّه إليها وخَذلَه؛ فتعَلَّقْ باللَّه وأنزل حوائجَكَ به والْتَجِئْ إليه وفوِّضْ أمْرَكَ إليه تُكْفَ حاجتَك وينشرحْ صدُرك: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾، وإذا كفى اللَّهُ عَبْدَه المُتوكِّلَ عليه، ووقاه، فلا مَطمعَ فيه لِعدوٍّ، ولا تَجْعلْ تَوكُّلَك عَجْزاً، ولا عَجْزَك توكلاً.

وإتيانُ السَّحَرةِ والعرَّافين وتَصديقُ خُرافاتِهم، وسؤالُهم المغيَّباتِ والمستقْبَلات، وطَلَبُ الصَّرفِ أو العطفِ منهم أو الرِّضا به قدحٌ في المعتقَد وخللٌ في التَّوكُّل، وتَجزُّعٌ على المكتوب، وتَسَخُّطٌ على المقدور، يقول ﷺ: «مَنْ أَتَى كَاهِناً أَوْ عَرَّافاً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» (رواه أحمد).

ورِزْقُ اللَّه لا يَجرُّه حرصُ حريصٍ ولا يَردُّه كراهيةُ كاره؛ يقول الحسنُ البَصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ رِزْقِي لَنْ يَأْكُلَهُ غَيْرِي اطْمَأَنَّ قَلْبِي»، وإتيانُ ذوي الشَّعوذة لا يُعَجِّلُ الرِّزقَ ولا يُؤَخِّرُ الأجلَ، يقولُ القرطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَجِبُ عَلَى مَنْ قَدِرَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ مُحْتَسِبٍ وَغَيْرِهِ أَنْ يُنكِرَ عَلَيْهِم - أَيْ: عَلَى السَّحَرَةِ وَالمُشَعْوِذِينَ - وَعَلَى مَنْ يَجِيءُ إِلَيْهِمْ أَشَدَّ النَّكِيرِ».

واحفظْ يَمينَك ولو كنت صادقاً تَعظيماً لِجَنابِ ربِّك، ولا تَحلفْ إلَّا باسمٍ من أسماء اللَّه أو صفةٍ من صفاته، ولا تَحلفْ بغيره سبحانه؛ كالكعبة، والنبيِّ، والأمانة، والوليِّ.

وأَيْقِنْ بِقَدَرِ اللَّه وخَلْقِه وتَدبيرِه، واصبِر على بلائِه وحُكمِه، واستسلِم لأمره، فالدُّنيا طافحة بالأنكاد والأكدار، مطبوعة على المشاقِّ والأهوال؛ فكن مؤمناً بالأقدار؛ فالإيمان بها ركنٌ من أركان الدِّين، وليس كلُّ ما يُتَمَنَّى يُدرَك، وبالإلحاحِ في الدُّعاءِ والتَّوجُّهِ إلى اللَّه بالكليَّةِ تُفْتَحُ الأبوابُ ويَتَحَقَّقُ المَرغوب.

وعلى المؤمنِ أن يكونَ خوفُه ورَجاؤُه واحداً؛ فأيُّهما غَلَبَ هَلَكَ صاحبُه، فمَنْ غَلَبَ خوفُه وقع في نوعٍ مِنَ اليأْس، ومَنْ غَلَبَ رَجاؤُه وقعَ في نوعٍ من الأمنِ مِنْ مَكْرِ اللَّه، والخوفُ المحمودُ ما حَجَزَكَ عن محارم اللَّه.

وإذا لم تَجدْ للعمل حلاوةً في قلبك فاتَّهمْه فإنَّ الرَّبَّ شكور، وفي الدُّنيا جَنَّةٌ مَنْ لم يدخلْها لا يدخلْ جنَّةَ الآخرة، والمحرومُ مَنْ حُجِبَ قَلبُه عن ربِّه، والمأسورُ من أَسَرَهُ هواه، وإقامةُ الصَّلاةِ معَ جماعةِ المسلمين في بيوتِ اللَّه تَزيدُ الإيمان، وتُضيءُ الوجهَ، وتَحجِز عن المُحرَّمات؛ قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾.

والمَأكلُ والمَشربُ الحلالُ دليلٌ على سَلامةِ الإيمانِ وحُسنِ المسلَك، وسببٌ في إجابة الدُّعاء؛ يقول ﷺ: «**يَا سَعْدُ! أَطِبْ**

مَطْعَمَكَ؛ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ»، وبِتجنُّبِ المعاطاة بالرِّبا، أو التَّعامل بالمُحرَّم تَسْمُو نفسُك وتَطْهرُ رُوحُك.

واجْعلْ تعامُلَك مع الآخرين على ضابطِ الحُبِّ والبُغْضِ في اللَّه، فمَنِ الْتَمسَ رضا اللَّه بِسَخَطِ النَّاسِ كفاهُ اللَّه مؤنةَ النَّاس.

واحذرِ الظُّلمَ؛ فالظُّلمُ ظلامٌ مضاعفٌ في الآخرة، والمظلومُ مستجابُ الدَّعوةِ، مُحقَّقُ المطلَب، فلا تَمْنعِ الآخرين حُقوقَهم، ولا تَعْتدِ عليها، والظُّلمُ لا يَنفَكُّ عن تركِ حسنةٍ أو فعل سيئةٍ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾.

إنَّ العاقلَ مَنِ اشتغلَ بعيوبِ نفسِه عن عيوبِ غيره، وقام مجتهداً بطاعةِ ربِّه، ولا بُدَّ للسَّالك إلى اللَّه من هِمَّةٍ تُسيِّره وتُعليه، وعلمٍ يُبصِّرُه ويَهديه، فَسِرْ إلى اللَّه بين مُشاهدةِ المِنَّةِ ومُطالعةِ عَيْب النَّفْس، واحذرِ الوقوعَ في أعراضِ المسلمين بالغِيبَة والبُهتان؛ يقول ﷺ: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**» (متفق عليه).

ولا يَحملْك الحسدُ والهوى على البُهتان، فالحسدُ أشدُّ الأخلاق وبالاً، والإنسان مجبولٌ على حبِّ التَّرفُّع على بني جنسه، والذَّمُّ مُتوجِّهٌ إلى مَنْ يَعملُ بمقتضى التَّسخُّط على القدر، أو ينتصبُ لِذمِّ المحسود، فَاكْرَهْ تلك الذَّميمة على نفسِك، واستعمل معها التَّقوى، فمَنِ اتَّقى وصبرَ نفعَه اللَّه بتقواه، وتَحَلَّ بأعالي الأخلاق، وداوِمْ على العبادة؛ فكثرةُ العبادةِ تَدفعُ الرِّياء، والاستعانةُ باللَّه تمنعُ الكِبْرِيَاء، وبالأمر

بالمعروف والنَّهي عن المنكر يُدفعُ البلاء، وتَجنُّبِ المعاصيَ دِقَّها وجِلَّها؛ فإنَّها تُوهنُ القلبَ والبدن، وتُزيلُ النِّعَم وتَجلِبُ النِّقَم، والشَّيطانُ يُزيِّنُ للإنسان المعصيةَ، ويُنْسيهِ العقوبة، ويُلَوِّحُ له بِسَعةِ الرَّحمة؛ لِيُوقِعَه في الذَّنبِ مَرَّة بعد أخرى، فيَضْعُفَ سيرُه إلى اللَّه والدَّارِ الآخرة، وقد نَصبَ للإنسان الحبائلَ وابتغى الغوائلَ، فلا تتبّعْ خُطاه، ولا تتأخّرْ عن مجاهدته، وأَكثِرْ مِنْ عَمَلِ الطَّاعات، فمِنْ علامةِ قبول الحَسَنةِ الحسنةُ بعدها.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

فإنَّ معَ الحياةِ موتاً، وإنَّ مع الدُّنيا آخرةً، وإنَّ لكلِّ شيءٍ حَسيباً وعلى كلِّ شيءٍ رقيباً، وإنَّ لكلِّ حسنةٍ ثواباً، ولكلِّ سيئةٍ عِقاباً، وإنَّ لكلِّ أجلٍ كتاباً، ولا بدَّ من قرين يُدفنُ معك وهو حيٌّ، وتُدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لَئيماً أساء لك، ثمَّ لا يُحشر، إلَّا معك، ولا تُبعثُ إلَّا معه، ولا تُسأل إلَّا عنه، فلا تَجعلْه إلَّا صالحاً، فإن كان صالحاً لم تَستأنسْ إلَّا به، وإن كان سيِّئاً لم تستوحش إلَّا منه؛ وهو عملُك!

فأَكْثِرْ من صالحِ العمل، واسْتَقِمْ على دينك، وصَابِرْ على تقويته، واجْتَنِبْ نواهيه، وائْتَمِرْ بأوامره، واسْتَمْسِكْ بأصلِ دينِك، وقُمْ بلوازمه، وتَسلَّحْ بالعلم والإيمان والعمل الصَّالح، واتَّعِظْ بِقَوارع العِبَر، وتدبَّر مواعظَ القرآن، فإنَّهنَّ صوادقُ الخبر، واذْكُرِ اللَّه طُوالَ دهرِك، فذِكْرُه لا

فراغ له ولا انقضاء، وأَكْثِرْ من الاستغفار على التَّقصير، واشكرِ اللَّه على التَّوفيق.

ثمَّ صلُّوا وسلِّمُوا على خير خلق اللَّه؛ مُحمَّدِ بن عبد اللَّه، فقد أمركم ربُّكم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واسْتَمْسِكُوا من الإسلام بالعُرْوَة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

التَّوحِيدُ حقُّ اللَّه على عباده، وبه بَعَثَ اللَّهُ رُسلَه وأنزلَ كُتبَه، وحقيقتُه: إفراد اللَّهِ بالعبادة، والعبادة: اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّه اللَّه ويرضاه - من الأقوال والأعمال؛ الظَّاهرة منها والباطنة -، فللقلب عبوديَّة تَخصُّه، وعُبوديَّتُه أعظمُ من عبوديَّة الجوارح وأكثرُ وأدومُ، ودخول أعمال القلب في الإيمان أَوْلَى من دخول أعمال الجوارح؛ فالإيمانُ القائمُ بالقلب علماً وحالاً هو الأصلُ المقصود، والأعمالُ

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثَّامن عشَر من شهر ربيع الآخر، سنة تسع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

الظَّاهرةُ مُتمِّمةٌ له وتَبَعٌ، ولا تكون صالحةً مقبولةً إلَّا بتوسُّطِ عملِ القلب؛ فهو روحُ العُبوديَّةِ ولُبُّها، وإذا خَلَتِ الأعمالُ الظَّاهرةُ منه كانت كالجسد الموات بلا روح، وبصلاح القلب صلاحُ الجسدِ كلِّه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ**» (متفق عليه).

وتفاضُلُ العبادِ بتفاضُلِ ما في قلوبهم، وبها تَفَاضُلُ الأعمال، وذلك محلُّ نظرِ الرَّبِّ من عباده؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**» (رواه مسلم).

ومن آكد أعمالِ القلوب: حُسنُ الظَّنِّ باللَّه؛ فهو من فروض الإسلام وأحَدُ حقوقِ التَّوحيد وواجباتِه، ومعناه الجامعُ: كلُّ ظنٍّ يليق بكمالِ ذات اللَّهِ سبحانه وأسمائِه وصفاتِه، وهو فرعٌ عن العلم به ومعرفتِه، ومبناه على العلم بسعة رحمة اللَّه، وعزَّتِه وإحسانه، وقدرتِه وعلمِه، وحسنِ اختياره، فإذا تمَّ العلمُ بذلك أَثْمَرَ للعبد حُسنَ الظَّنِّ بربِّه ولا بد، وقد ينشأ من مشاهدة بعضِ أسماء اللَّه وصفاتِه.

ومَنْ قام بقلبه حقائقُ معاني أسماء اللَّه وصفاتِه قام به من حُسنِ الظَّنِّ ما يناسب كلَّ اسمٍ وصفة، لأنَّ كلَّ صفةٍ لها عبوديةٌ خاصةٌ وحسنُ ظنٍّ خاصٌّ بها.

وكمالُ اللَّهِ وجلالُه وجمالُه وإفضالُه على خلقه موجِبٌ حسنَ الظَّنِّ به ﷻ، وبذلك أمر اللَّهُ عباده في قوله: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾،

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَحْسِنُوا الظَّنَّ بِاللَّهِ»، وأكَّد النَّبِيُّ ﷺ قبل موته على ذلك لعظيم قدره؛ قال جابرٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: **لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ** عَزَّ وَجَلَّ» (رواه مسلم).

وقد امتدح اللَّهُ عبادَه الخاشعينَ بحُسْن ظنِّهم به، وجعَل من عاجل البشرى لهم تيسيرَ العبادةِ عليهم وجعَلها عوناً لهم؛ قال سبحانه: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾، وقد نال الرُّسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ المنزلةَ الرَّفيعةَ في معرفتهم باللَّه؛ فَفَوَّضُوا أمورَهم إليه حُسْنَ ظنٍّ منهم بربِّهم، فإبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ترك هَاجَر وابنَها إسماعيل عند البيت وليس بمكَّة يومئذٍ أحدٌ وليس بها ماء، ثم ولَّى إبراهيم منطلقاً فَتَبِعَتْهُ هَاجَر وقالت: «يَا إِبْرَاهِيمُ! أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَاراً، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا» (رواه البخاري)؛ فكان من عاقبةِ حسنِ ظنِّها باللَّهِ ما كان، فنَبَع ماءٌ مباركٌ، وعُمِرَ البيت، وبقي ذكرُها خالداً، وصار إسماعيل نبيّاً، ومن ذرِّيَّته خاتم الأنبياء وإمام المرسلين.

ويعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فَقَدَ ابنينِ له، فصبر، وفوَّض أمرَه للَّه، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، وبقي قلبُه ممتلئاً بحُسنِ الظَّنِّ باللَّه وأنَّه خير الحافظين، وقال: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ

﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾، وأمر عَلَيْهِ السَّلَامُ أبناءه بذلك، وقال: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

وبَنُو إسرائيلَ لَحِقَهُم من الأذى ما لا يطيقون، ومع عِظَم الكرب يبقى حسنُ الظَّنِّ باللَّه، فيه الأملُ والمخرج؛ فقال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، واشتد الخَطْبُ بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومَنْ معه، فالبحرُ أمامَهم، وفرعونُ وجندُه من ورائهم، وحينها: ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، فكان الجواب من النَّبيِّ الكليم شاهداً بعظيم ثقته باللَّهِ وحُسنِ ظنِّه بالرَّبِّ القدير: ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾؛ فأتى الوحي بما لا يخطر على بال: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ۞ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ۞ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۞ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾.

وأعظمُ الخلقِ عُبوديَّةً للَّه وحُسنَ ظنٍّ به: نبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ؛ آذاه قومُه، فبقيَ واثقاً بوعدِ اللَّهِ ونَصْرِه لدينه، قال له مَلَكُ الجبال: «**إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ**، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً**» (متفق عليه)، وفي أشدِّ الضِّيقِ وأَحْلَكِهِ لا يفارق نبيُّنا ﷺ حسنَ الظَّنِّ بربِّه، أُخْرِجَ من مكَّةَ وفي الطَّريق أوى إلى غار، فلحقه الكُفَّار وإذا بهم حوله فيقول لصاحبه مثبِّتاً إياه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، قال أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي الغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: **يَا أَبَا بَكْرٍ! مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ، اللَّهُ ثَالِثُهُمَا**» (متفق عليه).

ومع ما لاقاه من أذًى وكرْبٍ وقتالٍ من كلِّ جانبٍ إلَّا أنه واثق ببلوغِ هذا الدِّين إلى الآفاق على مرِّ العصور، وكان يقول: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، إِلَّا أَدْخَلهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ**» (رواه أحمد)، واخترط أعرابيٌّ السَّيفَ - أَيْ: سَلَّهُ - على النَّبيِّ ﷺ وهو نائمٌ، قال ﵊: «**فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتاً** - أَيْ: بَارِزاً بِهِ -، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ **فَقُلْتُ: اللَّهُ** - ثَلَاثاً -؛ وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ» (متفق عليه)، وعند أحمد: «فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ».

والصَّحابةُ أشدُّ الخَلق يقيناً بحُسنِ ظنِّهم باللَّه بعد الأنبياء، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، جاء ابنُ الدَّغِنَّةِ إلى أبي بَكْرٍ ﵁ لِيُسِرَّ في صلاتِه وقراءتِه أو يَردَّ إليه جواره - أَي: يَنْقُضَ عَهْدَ الدِّفاعِ عنه، ويُمكِّنَ كفَّارَ قريشٍ منه -، فقال أَبُو بَكْرٍ ﵁: «فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ، وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللَّهِ ﷻ» (رواه البخاري)، وقال عمرُ ﵁: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَصدَّقَ، وَوَافَقَ ذَلِكَ مَالٌ عِنْدِي، فَقُلْتُ: اليَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْماً، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، قَالَ: فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟** قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَأَتَاهُ

أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟** فَقَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» (رواه أبو داود).

وخديجةُ سيِّدةُ نساءِ العالمين، جاءها النَّبيُّ ﷺ أوَّلَ بَدْءِ الوَحْي فقال: «**لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي**، قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ رضي الله عنها: كَلَّا؛ أَبْشِرْ! فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَداً، وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ على نَوَائِبِ الحَقِّ» (متفق عليه).

وعلى هذا سار سلف الأُمَّة، قال سفيان رحمه الله: «مَا أُحِبُّ أَنَّ حِسَابِي - أَيْ: مُجَازَاتِي عَلَى الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ - جُعِلَ إِلَى وَالِدَيَّ، رَبِّي خَيْرٌ لِي مِنْ وَالِدَيَّ»، وكان من دعاء سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ رحمه الله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ صِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ، وَحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ».

وفي الجِنِّ صالحون، ظنونهم باللَّه حسنة، يوقنون بقوة اللَّه، وسَعَة عِلْمه؛ فكان من قولهم: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾.

وإنَّ من عباد اللَّه مَنْ لو أقسَم على اللَّهِ لَأَبَرَّه، ليس تألِّياً وإنَّما حُسْنُ ظنٍّ به تعالى، والمؤمنُ مِنْ شأنه حُسْنُ الظَّنِّ بربِّه في كلِّ حينٍ وعلى كلِّ حالٍ، وأَوْلَى ما يكون كذلك إذا دعاه وناجاه موقناً بقربه، وأنه يجيب مَنْ دعاه ولا يُخَيِّب مَنْ رجاه.

ومن أسباب قبول التَّوبة: حُسنُ ظنِّ صاحبها بربِّه، قال النَّبيُّ ﷺ

فيما يروي عن ربِّه: «**أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْباً، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ**» (متفق عليه).

وفي الشَّدائد والمِحَن تَنْصَع الظُّنون الحسنة وتنكشف ظنون السُّوء، ففي أُحدٍ كان من شأن أهل الإيمان الثَّباتُ، وغيرُهم يظنون باللَّه غير الحق ظنَّ الجاهلية، وفي الأحزاب تعددت الظُّنون باللَّه؛ قال اللَّه عن طائفة: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ❁ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾، وأمَّا الصَّحابةُ رضي الله عنهم فأيقنوا أنَّ المِحَنَ ابتلاء من اللَّه يعقبها النَّصر والفرج، قال سبحانه عنهم: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾.

والمَخْرجُ عند الضِّيق والكروب والهموم حُسنُ الظَّنِّ باللَّه؛ فالثَّلاثة الَّذين خُلِّفُوا لم يَكْشِف عنهم ما حلَّ بهم من الكرب إلَّا حسنُ ظنِّهم باللَّه، قال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

واللَّهُ قويٌّ قديرٌ، ونصرُه لعباده وأوليائه ليس دونَه غالبٌ، ومن اليقين الثِّقة بنصره، قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ﴾.

وهو سبحانه رحيمٌ رحمن، مَنْ آمَنَ به وعَمِلَ الصَّالحات ورَجا نوالَ رحمةِ اللَّهِ نالها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ: كَتَبَ فِي**

كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» (متفق عليه).

ومَنْ ضاق به عيشُه فحُسْنُ ظنِّه سَعةٌ وفَرَج، قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ؛ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللَّهِ؛ فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ» (رواه الترمذي)، قال الزُّبير بن العوَّام لابنه عبد اللَّه رضي الله عنهما: «يَا بُنَيَّ! إِنْ عَجَزْتَ عَنْهُ فِي شَيْءٍ - أَيْ: عَنْ سَدَادِ الدَّيْنِ - فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَوْلَايَ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ: يَا أَبَةِ! مَنْ مَوْلَاكَ؟ قَالَ: اللَّهُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ، إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ! اقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ؛ فَيَقْضِيهِ» (رواه البخاري).

وهو سبحانه واسعُ المغفرة والعطاء، مَنْ أحسَنَ الظَّنَّ به في غِنَاه وكرمه ومغفرته أعطاه سُؤْلَهُ، ينزل سبحانه إلى السَّماء الدُّنيا في الثُّلث الآخر من كلِّ ليلةٍ فيقول: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» (متفق عليه)، ويداه سبحانه مَلْأَى «لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ».

واللَّهُ توَّاب يَفْرَح بتوبة العباد، ويبسط يدَه باللَّيل ليتوبَ مُسيءُ النَّهار، ويبسط يدَه بالنَّهار ليتوبَ مسيءُ اللَّيل، ومِنْ كمالِ صفاتِه لا يَرُدُّ سبحانه مَنْ أقبل عليه، وأَحوجُ ما يكون العبد إلى حُسْن الظَّنِّ باللَّه إذا دنا أجلُه وودَّع دنياه وأقبل على ربِّه، قال النَّبيُّ ﷺ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (رواه مسلم).

في هذه العبادة امتثالُ أمر اللَّه، وتحقيقُ عبوديَّته، وللعبد من ربِّه

ما ظنَّ به، قال النَّبيُّ ﷺ: «**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي**» (متفق عليه)، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لَا يُحْسِنُ عَبْدٌ بِاللَّهِ الظَّنَّ؛ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ ظَنَّهُ، ذَلِكَ بِأَنَّ الخَيْرَ فِي يَدِهِ سُبْحَانَهُ».

وإذا رُزِق العبدُ حُسنُ الظَّنِّ بربِّه؛ فقد فتح اللَّه عليه بابَ خيرٍ في الدِّين عظيم، قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: «وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ! مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ شَيْئاً خَيْراً مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ».

وأعمالُ النَّاسِ على قدر ظنونِهم بربهم، فأمَّا المؤمن فأحسَنَ الظَّنَّ باللَّه فأحسَنَ العملَ، وأمَّا الكافر فأساء باللَّه الظَّنَّ فأساء العمل، في هذه العبادة حُسْن الإسلام وكمال الإيمان وهي طريق الجنَّة لصاحبها، عبادةٌ قلبيَّةٌ تُورثُ التَّوكُّل على اللَّه والثِّقة به، قال ابن القيِّم رحمه الله: «عَلَى قَدْرِ حُسْنِ ظَنِّكَ بِرَبِّكَ وَرَجَائِكَ لَهُ يَكُونُ تَوَكُّلُكَ عَلَيْهِ، وَلِذَلِكَ فَسَّرَ بَعْضُهُمُ التَّوَكُّلَ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ، وَالتَّحْقِيقُ: أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِهِ يَدْعُوهُ إِلَى التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ؛ إِذْ لَا يُتَصَوَّرُ التَّوَكُّلُ عَلَى مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ، وَلَا التَّوَكُّلُ عَلَى مَنْ لَا تَرْجُوهُ».

ومن آثار هذه العبادة: طمأنينةُ القلب، والإقبالُ على اللَّه والتَّوبةُ إليه، ولا أشرحَ للصَّدر ولا أوسعَ له بعد الإيمان من الثِّقة باللَّه ورجائه، ففيه ما يدعو أهله للتَّفاؤل، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ**» (متفق عليه)، قال الحَلِيمِيُّ رحمه الله: «التَّشَاؤُمُ: سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ، وَالتَّفَاؤُلُ: حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ».

هو عونٌ لصاحبه على الكرم والشَّجاعة، ويورثُه القوَّة، قال

أبو عبد اللَّه السَّاجِيُّ ﵀: «مَنْ وَثِقَ بِاللَّهِ؛ فَقَدْ أَحْرَزَ قُوتَهُ، وَهُوَ خَيْرُ الزَّادِ وَنِعْمَ العُدَّةُ»، قيل لِسلمةَ بنِ دينارٍ ﵀: «يَا أَبَا حَازِمٍ! مَا مَالُكَ؟ قَالَ: الثِّقَةُ بِاللَّهِ، وَاليَأْسُ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ».

ومَنْ أَحسنَ الظَّنَّ بربِّه سَخَتْ نفسُه وجادت بماله مُوقِناً بقول اللَّه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾، قال سليمانُ الدَّارَانيُّ ﵀: «مَنْ وَثِقَ بِاللَّهِ فِي رِزْقِهِ زَادَ فِي حُسْنِ خُلُقِهِ، وَأَعْقَبَهُ الحِلْمُ، وَسَخَتْ نَفْسُهُ فِي نَفَقَتِهِ، وَقَلَّتْ وَسَاوِسُهُ فِي صَلَاتِهِ».

وهو حَادٍ على الرَّجاء فيما عند اللَّه، والثِّقةِ بوعده، وفعلِ الخير طمعاً بفضله على ما جاء في قوله: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾.

واللَّهُ يُعَامِلُ عبادَه على قَدْر ظنونهم به، والجزاءُ من جنس العمل؛ فمَنْ ظَنَّ خيراً فله ذلك، ومَنْ ظَنَّ سواه فقد خَسِرَ، قال النَّبيُّ ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ ﷻ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي؛ فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ، إِنْ ظَنَّ خَيْراً فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرّاً فَلَهُ**» (رواه أحمد)، وإذا كان العبدُ حَسَنَ الظَّنِّ باللَّه فإنَّ اللَّه لا يُخيبُه البَتَّة، ويوم القيامة يقول مَنْ أَحْسَنَ الظَّنَّ بربِّه: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فاللَّهُ كريمٌ كبيرٌ قويٌّ عظيم، إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون، وَعَدَ بحفظ كتابه، ونَصْرِ دينِه، وجعل العاقبةَ للمتَّقين، يرزقُ من يشاء بغير حساب، ويُفرِّجُ كروبَ مَنْ لجأ إليه.

ومَنِ ازداد علمُه باللَّه؛ زاد يقينُه به، ومَنْ أساء الظَّنَّ به؛ فهو لجهله بكمال أسمائه وصفاته، وذلك من صفات أهل الجاهليَّة، قال سبحانه: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾.

ومِنْ ثمار الإيمان بأسماءِ اللَّهِ وصفاتِه: حُسنُ الظَّنِّ به، والاعتمادُ عليه، وتفويضُ الأمور إليه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

حقيقةُ الظَّنِّ الحَسَن باللَّه تَظْهر في حُسْنِ العمل، وإنما يكون نافعاً مع الإحسان، وأَحْسَنُ النَّاس ظنّاً بربِّهم أطوعُهُم له، وكلّما حَسُنَ ظنُّ العبدِ بربِّه حَسُنَ ولا بد عملُه، ومَنْ ساء منه الفعلُ ساءت ظنونُه، ومتى قارن حُسنُ الظَّنِّ فعلَ المعاصي كان أَمْناً مِن مكر اللَّه، وحُسْنُ الظَّنِّ إنْ حَمَل صاحبَه على الطَّاعة فهو النَّافع، وإنْ نَقَصَ ذلك في القلبِ ظَهَرَتْ على جوارحِه المعاصي.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

قَوَادِحُ التَّوحِيد[١]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يهده اللَّه فلا مُضِلَّ له ومن يُضْلِل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمَنِ اتَّقى ربَّهُ نَجا، ومَنْ أعرضَ عن ذكرهِ هوى.

أيُّها المسلمون:

سعادةُ العبد في كمال عبوديَّته للَّه، وتحقيقُ العُبوديَّة يكون بإخلاصِ العمل للَّه واتِّباعِ هدي النَّبيِّ ﷺ، وإذا عَمِل العبدُ عملاً لم يكن فيه مخلِصاً للَّه كان عملُه هَبَاءً؛ قال اللَّه تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾، وإذا أخلص فيه للَّه ولم يكن مُتَّبِعاً هَدْيَ النَّبيِّ ﷺ كان العملُ مردوداً عليه؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا؛ فَهُوَ رَدٌّ**» (رواه مسلم)، وإذا كان العملُ خالصاً صواباً

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثامن والعشرين من شهر ذي القَعدة، سنة ست وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

كان مُتقبَّلاً مَشْكُوراً؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّـٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾.

والدِّينُ قائمٌ على نفيٍ وإثباتٍ، لا يصلُح إسلامُ المرء إلَّا بهما؛ تبرُّؤٌ من الآلهة وأهلها، وإثباتُ العبوديَّة للَّه وحدَه؛ قال ﷻ: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ** ﷻ» (رواه مسلم).

وأعظم أمرٍ في الإسلام الأمر بالتَّوحِيد، وأعظم نهيٍ فيه النَّهي عن ضدِّه، سُئِل النَّبيُّ ﷺ: «أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: **أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدّاً وَقَدْ خَلَقَكَ**» (متفق عليه)، ودعوةُ الرُّسُل متَّفقةٌ على الأمر بإفراد اللَّه وحده بالعبادة، والتَّحذير من الشِّرك، أو الوُقوع في حِمَاه ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَۖ﴾، ومَنْ لَازَمَ عبادة اللَّه كما أمر ﷻ أَمِنَ في نفسهِ ومالهِ وولدهِ ودارهِ، وأَمِنَ في قبرهِ وفي يوم الحشرِ والحساب؛ قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾.

والتَّوحِيدُ الحقُّ مُمَحِّصٌ للذُّنوب، مَاحِقٌ للخطايا، مَانعٌ من وُلُوج النَّار؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ**» (متفق عليه)، ومَنْ حقَّق التَّوحِيدَ الواجب والمُستحبَّ دخل الجنَّة بغير حساب، وقد أخبر النَّبيُّ ﷺ عن وصفهم بقوله: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ**

يَتَوَكَّلُونَ» (متفق عليه)؛ فأفئدتهم متعلقةٌ باللَّه، وقلوبهم مفوِّضةٌ أمورَها له.

والشِّركُ وَبَالُه وَخِيم؛ يُحْبط العَمَل ويُسْخِطُ الرَّبَّ؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، وقال ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدّاً؛ دَخَلَ النَّارَ**» (رواه البخاري)، بل إنه يُوجِبُ الخُلودَ في النَّار؛ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، ولأنَّ الشِّركَ يوجبُ الهَلَاكَ في الدُّنيا والآخرة؛ دعا الخليلُ إبراهيمُ عليه السلام ربَّه أن يَحفظَه منه، قال سبحانه إخباراً عنه: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾، قال إبراهيمُ التَّيْمِيُّ رحمه الله: «وَمَنْ يَأْمَنُ الشِّرْكَ عَلَى نَفْسِهِ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ؟!».

وخيرُ ما يَدعو إليه الدَّاعيةُ كلمةُ التَّوحيدِ وما تَدُلُّ عليه؛ قال النَّبيُّ ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ؛ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» (متفق عليه).

ومَنْ دعا غيرَ اللَّه فقد ظَلَم نفسَه ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ومَنْ جثَا عند صنمٍ أو خضعَ لقبرٍ يرجو نَفْعَه فقد طلب محالاً، وحَسِبَ السَّرابَ ماءً: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۞ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾.

ودعاءُ الأمواتِ وسُؤالُهم الحَوائجَ نداءٌ لا يُسْمع، وكرباتٌ لا تُفرَج، قال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾.

والغلوُّ في الأموات والصَّالحين سَبَبُ كُفرِ بني آدم وتركِهم دينهم، وقد حذَّر منه المصطفى ﷺ بقوله: «إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الغُلُوُّ فِي الدِّينِ» (رواه النسائي)، وشرُّ الخلقِ مَنْ عَكَف على القبور ودَعَاهَا من دون اللَّه، قال ﷺ لأمِّ سلمةَ رضي الله عنها: «أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ - أَوِ: العَبْدُ الصَّالِحُ - بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِداً، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكِ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ» (متفق عليه).

والسِّحْرُ يُطفئ نور الإيمان ويهدم الإسلام: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ﴾، وإتيانُ الكهَّان فسادٌ في الدِّين ونقصٌ في العقل، قال ﷻ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾، وقال ﷺ: «مَنْ أَتَى كَاهِناً أَوْ عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» (رواه أحمد).

والتَّمائمُ من الحِلَقِ والخيوط والأصْدافِ ونحوِها لا تزيدُ لَابِسَها إلَّا وَهْناً وَضعْفاً في التَّوكل على اللَّه، «رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَجُلاً فِي يَدِهِ حَلْقَةً مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: وَيْحَكَ مَا هَذِهِ؟ قَالَ: مِنَ الوَاهِنَةِ، قَالَ: أَمَا إِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْناً؛ انْبِذْهَا عَنْكَ، فَإِنَّكَ لَوْ مُتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَداً» (رواه أحمد)، ولُبْسُ التَّمائم شِركٌ باللَّه؛ قال ﷺ: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَقَدْ أَشْرَكَ» (رواه أحمد)، ومن علَّق شيئاً وَكَلَهُ اللَّه إلى ذلك المُعلَّق فهلك؛ قال ﷺ: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً؛ وُكِلَ إِلَيْهِ» (رواه الترمذي).

والأشجارُ والأحجارُ لا تُرْتَجَى البركةُ منْهُما، ولا بِهما، وإِنَّما هي من مخلوقات اللَّه لا تضرُّ ولا تنفع.

وإراقة الدِّماء بالقربان لا يكون إلَّا للَّه، ومَنْ ذَبَحَ لغير اللَّه وقع في أَوْحَالِ الشِّرْك؛ قال ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ» (رواه مسلم).

والنَّذرُ عبادة؛ لا يُصْرف لغير اللَّه، قال ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ؛ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ؛ فَلَا يَعْصِهِ» (رواه البخاري).

ومَنِ استعاذ باللَّه أَعاذه، ومَنْ لجأ إلى غيرِه خَذَله، يقول النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً، ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» (رواه مسلم).

وإذا حلَّت بك نوائبُ الدَّهر وكروبُ الزَّمان فلا تَسْتغِثْ بغير اللَّه، ولا تَدْعُ غيره، ولا تخضعْ لميتٍ في قبره، أو رُفاتٍ في لَحْدِه، وارْفَع مُبْتغَاك إلى من في السَّماء؛ فهناك يُجاب الدُّعاء: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾.

ولا مفرَّ من الابتلاء: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾، وإذا أصابتك مصيبة فقابِلْهَا بالرِّضا والتَّسْليم، قال ﷻ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾، قال علْقمةُ رضي الله عنه: «هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ المُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؛ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ».

ولا تَسْخَطْ من المَكْتوب فالسّخطُ لا يُزِيلُها، واحْذَرِ النَّدَمَ على

قِلَّة الحَذَرِ قبل وقوع القدر بكلمه لَوْ؛ فإنَّها من الشَّيطان، قال النَّبيُّ ﷺ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**» (رواه مسلم).

ففَوِّضْ أُمُورَك إلى اللَّه، فلن يأتيَك من الدُّنيا إلَّا ما قُسِم لك منها: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾، قال عبادة بن الصَّامت رضي الله عنه لابنه: «يا بُنَيَّ! إِنَّك لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإِيمَانِ حتَّى تَعْلَمَ أنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، ومَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ».

والاعتماد على الأسباب بالقلب والجوارح قَدحٌ في التَّوحِيد، وتعطيلُ السَّببِ عجز، والواجبُ فعلُ الأسبابِ المُباحة مع تعلُّقِ القلب باللَّه.

وبالتَّوكُّل عليه سبحانه يتيسَّرُ العسير، وتُبْسَطُ الأرزاق، وتُفْرَجُ الكُروب.

والأمن من مكر اللَّه غُرور: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾، واليأس من رَوْحِ اللَّه قُنوط، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾، والجمع بين الرَّجاء والخوف مع المحبةِ سبيلُ الاعتدال.

والشِّركُ له أبواب خفيَّة يسعى الشَّيطان جاهداً أن يَلِجَ منها العبادُ، قال عليه الصلاة والسلام: «**أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**، فَسُئِلَ عَنْهُ، فَقَالَ: **الرِّيَاءُ**» (رواه أحمد)، والرِّياء داءُ العاملين، يُفْسِدُ العملَ ويُغْضِبُ

الرَّبَّ، وهو أَخْوَف على الصَّالحين من المسيح الدَّجَّال؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ؟ قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، فَقَالَ: الشِّرْكُ الخَفِيُّ: أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ» (رواه ابن ماجه).

والعمل الصَّالح يُرتجى به ثوابُ اللَّه وحدَه، لا يُراد به زُخْرُفُ الدُّنيا، ومَنْ صَرَف قلبَه بعمله الصَّالح إلى زينة الحياة؛ حَبِطَ عَمَلُه وخَسِر في آخرته؛ قال سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

ولا أحبَّ عند المسلم من اللَّه، ولا أجلَّ في قلبِهِ منه تعالى، فهو العظيمُ في فؤاده، والكبيرُ في نفسه، والصَّادقُ في محبته لا يَحْلِفُ إلَّا به وحده، والحَلِفُ بغيره سبحانه - كالكعبةِ، والنَّبيِّ، والأمانةِ، والوليِّ -؛ شِرْكٌ في التَّوحِيد، قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ حَلَفَ بِغَيرِ اللَّهِ؛ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ» (رواه التِّرمذي).

والإكثار من الحلف مُنَافٍ لتعظيم اللَّه في الصُّدور، فاحفظْ يَمينَك ولو في صِدْقِك، قال سبحانه: ﴿وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾، واحذرها في كذبك فهي الغَمُوس، ومن تعظيم اللَّه: الرِّضا بالحَلِف به ولو كان المُسْتَمِعُ يَعْلَمُ كَذِبَ الحَالِف، قال النَّبيُّ ﷺ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ» (رواه ابن ماجه).

ومِنْ إجلالِ اللَّه: أَنْ لا يَرُدَّ مَنْ سأل باللَّه، قال ﷺ: «**مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ**» (رواه أبو داود).

وذمُّ الدَّهرِ وتقلُّبِ أحوالِهِ - من حرٍّ أو قرٍّ - أذيَّةٌ لربِّ العالمين، قال عليه الصلاة والسلام: «**قَالَ اللَّهُ** عز وجل: **يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ؛ بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**» (متفق عليه).

ولأجل الدِّينِ قامتِ السَّمواتُ والأرض، وأُعدَّتِ الجنَّةُ والنَّار، والسُّخريةُ بالدِّين أو بأحكامِه وأهلهِ المُتَمَسِّكِين به؛ تُخرجُ المرءَ من الإسلام؛ قال جل جلاله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾.

ولا تَظنَّ باللَّهِ ظنَّ السَّوْءِ - مِنِ اسْتِحْقَاقك أكثرَ ممَّا أُعطيت، أو تَحتقرَ نعمةً في يد غيرك مَنَحَها اللَّه إيَّاه -، فذاك ظنُّ الجاهليَّة، فكلُّ ما في الكون بأمر اللَّه وحكمته: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾.

والتَّصوير من كبائر الذُّنوب، صاحبُه مُتوعَّد بالنَّار؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ تُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ**» (متفق عليه).

واقْدُرْ ربَّك حقَّ قَدرِه، فهو العظيم في مُلكه، المُستَوي على عرشه، الحكيمُ في تشريعاته، فحافظْ على ما افترضَه اللَّه عليك من الصَّلوات المكتوبة في وَقْتِها، وإيَّاك والتَّفْريطَ فيها؛ فإنَّها عَمود الدِّين،

قال ﷺ: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**» (رواه الترمذي).

وكُنْ مُتَوجِّهاً إلى ربِّك في جميع أحوالك؛ تَصلحْ أَعْمالك.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمداً عبده ورسوله، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

فالدِّينُ أَنْفَسُ ما تَملِك، فاحفظ دينك بالبُعد عن الفِتن، فإنَّها تأْخُذُ بالقلوب، وتَجْلِب الشُّبهات والشُّرور، قال ﷺ: «**وَمَنِ اسْتَشْرَفَ إِلَيْهَا** - أَيْ: تَطَلَّعَ إِلَيْهَا - **أَخَذَتْهُ**» (رواه البخاري).

وغضُّ البصرِ عن النِّساء المُحَرَّمَات؛ زكاءٌ للنَّفس وطاعةٌ للَّه ورفعة في الدَّرجات، قال ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ﴾.

وحِلْيَةُ المرأةِ في سِتْرها، وجمالُها في حجابِها، وزينتُها بتمسُّكِها بدينها، ونساءُ الصحابةِ مثالٌ يُحْتَذَى بهنَّ في الحجاب والسِّتر والحياءِ، قال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ﴾.

وسَمَاعُ الأغاني من المعاصي التي تُظْلِمُ القلبَ وتَصُدُّ عن سماع القرآن، قال ﷺ: «**لَيَأْتِيَنَّ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّتِي يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ** - أَيِ: الزِّنَى -

وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ، وَالمَعَازِفَ» (رواه البخاري)، وخيرُ ما يَسْمَعُهُ العبدُ: كلامُ ربِّ العالمين، فيه النُّورُ والهدى والشِّفاءُ.

والمالُ الحلالُ صلاحٌ للدِّين، وقوةٌ في البدن، وهدايةٌ للأولاد، وبركةٌ في العطاء، وسببٌ في إجابةِ الدُّعاء، واقتداءٌ بالأنبياء، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾.

والمالُ الحرامُ ممحوقُ البركة، كثيرُ الضَّرر، صاحبُه طويلُ النَّدم، مردودُ الدُّعاء.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

أَسْمَاءُ اللَّهِ الحُسْنَى(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمَنِ اتَّقى ربَّه نجا، ومَنْ أعرضَ عنه هَوى.

أيُّها المسلمون:

العلمُ باللَّه أحَدُ أركانِ الإيمان؛ بل هو أصلُها وما بعدَها تبَعٌ له، ومعرِفَة أسماء اللَّه وصفاتِه أفضلُ وأوجَبُ ما اكتسبَته القلوب وحصَّلته النفوسُ وأدركته العقول؛ قال ابن القيِّم ﵀: «أَطْيَبُ مَا فِي الدُّنْيَا: مَعْرِفَتُهُ سُبْحَانَهُ وَمَحَبَّتُهُ».

والقرآنُ كلُّه يدعو النَّاسَ إلى النَّظر في أسماء اللَّه وصفاتِه وأفعالِه؛ قال شيخ الإسلام ﵀: «وَالقُرْآنُ فِيهِ مِنْ ذِكْرِ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ أَكْثَرُ مِمَّا فِيهِ مِنْ ذِكْرِ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ».

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثالث والعشرين من شهر شوال، سنة ست وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

واللَّهُ يُحِبُّ مَنْ يُحِبُّ ذكرَ صفاته، وقد بشَّر النَّبيُّ ﷺ الذي كان يقرَأ سورة الإخلاص بأنَّ اللَّهَ يحبُّه فقال: «سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟ فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ» (متفق عليه).

وأسماؤُه سبحانَه أحسَنُ الأسماء، وصفاتُه أكمَلُ الصِّفاتِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

وحقيقٌ بكلِّ مسلمٍ معرفتُها، وفهمُ معانيها.

فربُّنا تعالى هو **الرَّحمن الرَّحيم**؛ وَسِعَتْ رحمتُه كلَّ شيء، ورحمتُه أوسَع صفاتِه، قال ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مِئَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَالبَهَائِمِ وَالهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعاً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ» (متفق عليه)، وما مِن أحدٍ إلَّا وهو يَتقلَّب في رَحْمةِ اللَّه، وكلُّ نعمةٍ تراها هي مِن رحمته، وكلُّ نقمةٍ صُرِفت فهي من آثار رحمتِه، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَكَانَ هَذَا الكِتَابُ - أَيْ: «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» - كَالعَهْدِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِلْخَلْقِ، وَلَوْلَاهُ لَكَانَ لِلْخَلْقِ شَأْنٌ آخَرُ»، ومَنْ كان قريباً مِنَ اللَّه كانت رحمةُ اللَّه أولى به.

وهو سبحانه **المَلِكُ**: المُتصرِّفُ بخَلقه كما يشاء، لا يتحرَّك متحرِّكٌ ولا يَسْكُن ساكِن إلَّا بعلمه وإرادَته، يأمُر وينهى، يُعِزُّ ويُذِلُّ بلا ممانَعة ولا مدَافعة، لا يُعجِزه فيهما شيء؛ ففوِّض إلى الملِكِ أمورَك، فبِيَدِه المقاليد، وتوكَّل عليه في جميعِ أحوالِك تجِده قريباً.

وهو **القُدُّوسُ**: المُنزَّهُ عن النقائِصِ، المَوْصُوفُ بصفاتِ الكمال؛ فلا إِلَهَ معَه يُدعى، ولا وَلِيَّ معه يُنادَى.

وهو **السَّلامُ**: السَّالِمُ من جميع العيوب وخَلَلِ الأوصاف، جميع المخلوقاتِ تُنزِّه ربَّنا من ذلك؛ قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

وهو ﷻ **المُؤْمِنُ**: خَلْقُه آمِنون مِنْ أَنْ يَظلِمَهم أو يَبخَسَهم حقَّهم، فتزوَّدْ منَ التَّقوَى؛ فالأعمالُ محفوظةٌ مضاعَفة.

وهو **المُهَيْمِنُ** على خلقِه، مطَّلِعٌ على خفاياهم وخَبايا صدورِهم، فلا تأمَنْ مكرَ اللَّه إن عَصَيتَه.

وهو **الشَّهِيدُ** على أقوالِ وأفعال عِباده ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

هو **العَزِيزُ**: لا يُغْلَب، عزَّ كلَّ شيءٍ فقَهَره، ذلَّت الصِّعاب لعِزَّته، ولانت الشَّدائد لقوَّته، «**إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَاناً لِقَوْلِهِ، كَالسِّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ**»، مَنْ دَنَا منه بالطَّاعة عزَّ؛ قال سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾، ومَنْ بَارَزَه بالمعصِيَة ذلَّ، فلا تَنْظُر إلى المعصيةِ وانْظُرْ إلى مَنْ عصيتَ.

وهو **العَلِيُّ الأَعْلَى**: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾.

وهو **الجَبَّارُ**: جَبَر خلقَه على ما يُريد، لا يمتَنِع منهم أحدٌ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، قال للسَّماء وللأرضِ:

﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾، وهو سبحانه جابِرُ قلوبِ المنكَسِرين.

وهو **الكَبِيرُ**؛ كلُّ شيءٍ دونَه، ولا شيءَ أعظم ولا أكبر منه: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾، «**يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ**» (متفق عليه).

وهو **المُتَكَبِّرُ** وحدَه، ولا يليق الكِبْرُ إلَّا به، ومَنْ تَكبَّر من خلقه فمأواه سقَر؛ قال ﷻ: ﴿أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾، والعبدُ واجبٌ عليه التَّذلُّل والخضوع لربِّه، والتَّواضعُ لعباده.

وهو **الخَالِقُ**؛ أوجدَ الكونَ وأبدعه فأبهَر مَنْ تأمَّله، **خلَّاقٌ** أتقَنَ ما خلَق: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾.

وهو **البارِئُ**؛ بَرَأ الخلقَ مِن عدَم؛ نجوماً وشمساً وقمَراً، وخَلقاً في الأُفق: ﴿كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾، أدهشَت من تفكَّر فيها وتذكَّر.

وهو **المُصوِّر**؛ صوَّر خلقَه على صفاتٍ مختَلفة، وهيئاتٍ متباينة كيفَ شاء: ﴿فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ﴾، وخلَق الإنسان في أحسنِ صورةٍ: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾.

وهو **المُصَوِّرُ**؛ وحرَّم التَّصويرَ على خلقه، وتوعَّد المُصوِّرينَ مِن خلقِه؛ و«لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المُصَوِّرَ» (رواه البخاري)، وقال: «**كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ**» (متفق عليه).

وهو **الغَفُورُ**؛ يَمْحُو ذنوبَ مَن أنابَ إليه من عبادِه وإن تناهَت خطاياه، غفَر لسحرَةِ فِرعون كُفرَهم وسِحرهم ومُبارَزَتهم لنبيِّهم بسجدةٍ واحِدة للَّه مقرونةٍ بتوبة: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾.

وهو **القَهَّارُ**؛ الخلقُ تحتَ قَهرِه وقَبضتِه، يَنزعُ روحَ من شاء متى شاء، لا يقعُ في الكونِ أمرٌ إلَّا بمشيئتِه ولو سعَى العبد إلى تحقيقه.

وهو **الفتَّاحُ**؛ يَفتحُ أبوابَ الرِّزقِ والرَّحمةِ وأسبابها لعبادِه، ويَفتحُ عليهم المنغَلِقَ من أمورهم وأَحوالهم.

وهو **الرَّزَّاقُ**؛ يرزُقُ العبدَ من السَّماء والأرض: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ﴾، عمَّ برزقِه كلَّ شيء؛ فما من دابَّةٍ في الأرض إلَّا على اللَّه رِزقُها، رزَقَ الأجنَّةَ في بطونِ الأُمَّهات، ورزَقَ السِّباعَ في القِفَار، والطُّيورَ في أعالي الأَوْكَار، والحِيتَانَ في قَعْرِ البِحَار.

وهو **الوَهَّابُ**؛ يُعطِي من أراد ما شاءَ، بِيده خزائن السَّموات والأرض، وهَب ذُرِّيَّةً طيِّبة لأنبياء بعد بلوغِهم عِتيّاً من الكِبَر، وسأل سليمانُ عليه السلام ربَّه الوهَّابَ مُلكاً لا يَنبَغي لأحدٍ مِن بعدِه، فوهبه آياتٍ وعِبراً مِنَ العطاء؛ رِيحاً وجِنّاً وعَين قِطرٍ مُسَخَّراتٍ بأمرِه.

وهو **العَلِيمُ**؛ يعلَمُ السَّرائرَ والخَفيَّاتِ، لا يخفَى عليه قولٌ ولا فعلٌ ممَّا يَجْتَرِحُه العباد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وهو **السَّميعُ**؛ يسمَع النَّجوَى وما أعلِنَ، والسَّرَّ وما أخفَى، إنْ جهرتَ بِقولِك سمِعَه، وإنْ أَسرَرتَ به لصاحِبِك سَمِعَه، وإنْ أخفَيتَه في نفسك علِمَه.

وهو **البَصِيرُ**؛ يرَى خَوافِيَ الأمور وإن دقَّتْ، لا يَعزُب عنه مثقالُ ذرة وإن خفِيَت، يرى في ظُلَم اللَّيل ما تحت الثَّرَى، ويُبصِر قَعْرَ البحر في الدَّهماء.

وهو **الظَّاهرُ والبَاطِنُ**؛ لا يَخفى عليه دَبيبُ النَّملة السَّوداءِ على الصَّخرةِ الصَّمَّاء في اللَّيلةِ الظَّلماء، إنْ فعلتَ فِعلاً ظاهراً رَآك، وإنْ عَمِلت باطناً ولو في جوفِ بَيْتِك أبصرَكَ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾، ومن علِم أنَّ اللَّهَ مطَّلِع عليه؛ استَحَيى أن يراه على معصِيَة.

وهو **الحَكِيمُ**؛ لا يَدخُلُ في أحكامِه ولا تشريعَاتِه خَلَلٌ ولا زَلَل، وليس لأحدٍ أن يُرَاجعَ أحكامَ اللَّه أو ينتَقِصَها أو يضَعَها للجَدَل: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾، بل الواجب التسليمُ والإذعان لها والانقياد إليها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾، ولا يصلُحُ لعباده سِوى شرعه المطهَّر، ومَنْ سَخِر بدينه أو شرعِه أذلَّه اللَّه.

وهو **اللَّطِيفُ**؛ يَلطُف بعباده، يسوق الرِّزقَ إليهم وهم لا يشعرون.

وهو **الخَبِيرُ** بأمورِ العِباد لا يخفَى عليه شيءٌ، مُطَّلِع على حقيقةِ كلِّ أمرٍ: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾.

وهو **الحَلِيمُ**؛ لا يُعَجِّل العقوبةَ على عبادِه بِذنوبهم، ولا يحبِس إنعامَه وأفضاله عنهم بخطيئاتهم، يَعصونه ويَرْزُقهم، يُذْنِبون وَيُمْهِلُهم،

يُجاهِرون وَيَسْتُر عليهم؛ فلا تَغْترَّ بحلم اللَّه وكَرَمه عليك، فقد يَبْغَتُك العذاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾.

وهو **العَظِيمُ**؛ إذا تكلَّم بالوحي أخذَتِ السَّموات منه رَجْفَةٌ - أو رِعدةٌ - شديدة خوفاً من اللَّه، فإذا سمِع ذلك أهلُ السَّموات صَعِقوا وخرُّوا للَّه سجَّداً.

وهو **الشَّكُورُ**؛ يُعطي الجزيلَ على اليسيرِ منَ العمل، ويَغفِر الكثيرَ مِنَ الزَّلَل، فلا تحقِر أيَّ عملٍ صالحٍ وإن قلَّ فالحسنة تتضَاعَف؛ قال سبحانه: ﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ﴾.

وهو **الحَفِيظُ**؛ يَحفَظُ أعمالَ العباد ويُحصِي أقوالهم: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾، ويَحفَظُ عبادَه من المهالِكِ والمعاطِبِ؛ حفِظ يونسَ عليه السلام وهو في بطن الحوت في لُجَجِ البِحار، وحفِظ موسى عليه السلام وهو رضيعٌ في اليَمِّ؛ فتوكَّلْ على اللَّه في حِفظ نفسك وأولادك، فلا تعاويذَ شِركيَّة ولا تمائم ولا سَحَرَة ولا كُهَّان.

وهو **القَوِيُّ**؛ لا يعجِزه شيء، قوِيٌّ في بطشِه، قال ابن جريرٍ رحمه الله: «إِذَا بَطَشَ بِشَيْءٍ أَهْلَكَهُ»، أمرَ جبريلَ عليه السلام بقلبِ قريةٍ عاتِيَة بالفواحش - قوم لوطٍ - فعَلَا بها بطَرَف جناحه ثم قَلَبَها بمن فيها، وجعلها آيةً للاعتبار عبرَ القرون: ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ۝ وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾، ومَنْ تأمَّل قوَّةَ من عصى تركَ ما عصَى.

وهو سبحانه **الشَّافِي**؛ يَشفي ويُعافي من الأمراضِ والأسقام: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾، والأدوية أسبابٌ يَجِب ألَّا يَتعلَّقَ القلب بها.

وهو **المَنَّانُ**؛ يبدأ بالعطاءِ قبلَ السُّؤال.

واللَّه سبحانه هو **المُحْسِنُ**؛ غَمَر الخلقَ بإحسانه وفضلِه.

هو **الكَرِيمُ**؛ يُعْطي ويُجْزِل في العَطاء، ليس بينه وبين خلقِه حِجاب، فاسأَلْ وربُّك الأكرَم، وإذا فتَح الرِّزقَ على عبدِه لم يمنَعه أحدٌ؛ قال سبحانه: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾.

وهو **حَيِيٌّ**؛ «**يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ** - يَسْأَلُهُ عَبْدُهُ عَطَاءً - **أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْراً**» (رواه أبو داود).

وهو **الرَّقِيبُ**؛ لا يَغْفَلُ عن خَلقِه ولا يُضيِّعُهم: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾، مطَّلِع على ما أكَنَّته ضمائِرُهم، قال الحسنُ البصريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رَحِمَ اللَّهُ عَبْداً وَقَفَ عِنْدَ هَمِّهِ؛ فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ مَضَى، وَإِنْ كَانَ لِغَيْرِهِ تَأَخَّرَ»؛ فقِف وقفةً عند كلِّ عمَل، فإِنْ كان للَّه فتقدَّم، وإِنْ كان لغيره فتأخَّر.

وهو **الوَدُودُ**؛ يتودَّدُ إلى عبادِه بالنِّعَم وترك العصيانِ، ومَنْ ترَك شيئاً لأجلِه أعطاه المزيدَ.

وهو **ذُو مَحَبَّةٍ** لعبادِه الصَّالحين، يُحِبُّ التَّوَّابين منهم والمُتوكِّلين والصَّابِرين.

وهو **المَجِيدُ**، ذو مَجدٍ ومَدح وثَناء كريم، لا مجدَ إلَّا مجدُه، وكلُّ مجدٍ لغيره إنَّما هو عطاءٌ وتفضُّل منه سبحانه.

وهو **الحَمِيدُ**؛ مستَحِقٌّ للحمد والثَّناءِ بِفِعَالِه، يُحمَد في السَّرَّاء والضَّرَّاءِ، وحَمْدُه مِنْ أجلِّ الأعمال، قال ﷺ: «**وَالحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ**

المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ - أَوْ: تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ» (رواه مسلم).

وهو سبحانه **الحَيُّ القَيُّومُ**؛ قائِمٌ بأمرِ جميع الخلائق: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾.

هو **أَحَدٌ**؛ لم يزل وحدَه، ولم يكن معه غيرُه، وتَوحَّدَ بجميع الكَمَالاتِ، لا يُشَارِكُه فيها مشارِك.

وهو **الصَّمَدُ**؛ تَصْمُد إليه الخلائق في حاجاتِها، وتبُثُّ إليه شكواها، وتضعُ بين يدَيه مُلِمَّاتها.

وهو **السَّيِّدُ**؛ إليه المَلْجَأُ وحدَه عند الشَّدائد والكرُوب.

وهو **القَدِيرُ**؛ تامُّ القدرةِ والنُّفوذ على كلِّ شيء؛ قال لنارٍ محرِقة: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾، فكانت كما أمَر، وأَمَرَ بحراً زاخراً بالأمواجِ أن يكونَ طريقاً يبَساً لموسى، ثم عادَ بحراً على أكملِ حالٍ.

هو **البَرُّ**؛ يُحسِن إلى عبادِه ويُصلحُ أحوالَهم، بَرٌّ بالمطيع في مضاعَفَة الثَّواب، وبَرٌّ بالمسِيء في الصَّفْحِ والتجاوُز: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وهو **التَّوَّاب**، لا يَردُّ تائباً، مَن جاء إليه في ليلٍ أو نهار قَبِلَه بل وأحبَّه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾.

وهو **العَفُوُّ**؛ مهما أسرَفَ العبد على نفسِه بالعِصيان ثمَّ تاب، عَفَى عن ذنوبِه.

وهو **الرَّؤُوفُ** بجميع خَلْقِه، يُغْدِق عليهم الأرزاق وإن عصَوه رأفَةً منه بهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وهو **الغَنِيُّ**؛ لا حاجةَ له إلى خلقِه، يدُه ملأَى «**لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»، يقول ﷺ فيما يروِيه عن ربِّه: «**يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ**» (رواه مسلم).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فبأسمائه تعالى الحسنَى يُدعى، وبها وبصفاتِهِ العُلى يُثنَى عليه، واللَّه يُحِبُّ مَن يدعوه ويَحمدُه، وأكمَلُ النَّاس عبوديَّةً المُتعبِّدُ بجميع الأسماء والصِّفاتِ، وأسماؤُه لا حَصْرَ لها، منها تسعةٌ وتسعون اسماً من أحصاها - بالعلم بمعناها والعمَلِ بمقتضاها - دخلَ الجنَّة.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إلهَ إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

مِفتاحُ دَعوةِ الرُّسلِ وخُلاصةُ رسالتهم: معرِفَةُ المعبودِ بأسمائه وصفاته وأفعالِه.

ومعرفةُ اللَّه وما يستحِقُّه من الأسماء الحسنى والصِّفاتِ العلا؛ تستلزمُ إجلالَه، وإعظامَه، وخَشيتَه، ومهابَتَه، ومحبَّتَه، ورجاءه، والتَّوكُّلَ عليه، والرِّضا بقضائِه، والصَّبرَ على بلائه، وعلى قَدرِ المعرفة يكون تعظيم الرَّبِّ في القلبِ.

وأعرفُ الناسِ به أشدُّهم له تعظيماً وإجلالاً، ومَنْ عرَفَ أسماءَ اللَّه وصفاتِه عَلِم يقيناً أنَّ المكروهاتِ التي تُصيبُه والمِحَنَ التي تَنزلُ به فيها مِن ضروبِ المصالح التي لا يُحصِيها علمُه، واللَّه يُحِبُّ موجِبَ أسمائه وصفاتِه، فهو كريمٌ يُحبُّ الكريم من عبادِه، حليم يُحبُّ أهلَ الحِلم، عليمٌ يُحبُّ العلَماء، شكور يُحبُّ الشَّاكرين.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

اسْمُ اللَّهِ: الحَكِيمُ[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبد اللَّه ورسوله، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واسْتَمْسِكُوا من الإسلام بالعُرْوَة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

شَهِدَتِ الفِطَرُ بأنَّ للعالَم ربّاً كاملاً في ذاته وصفاته، موصوفاً بصفات الكمال والجَلال والجَمال، له كلُّ ثناءٍ وكلُّ حَمْدٍ ومَدْح، ومِنْ تعظيم اللَّه إثباتُ صفاتِ كمالِه ونعوتِ جلاله.

واسمٌ من أسماء اللَّه الحسنى ورَد في كتاب اللَّه أكثرَ من تسعين مرةً، اقترن بالعِزَّة والعِلْم والخِبْرة والسَّعَة والتَوْبِ والحَمْد، ما من حركةٍ ولا سكونٍ في الكون إلَّا واقتضى مدلولُ ذلك الاسم فيه، فمِنْ

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثالث عشَر من شهر شوال، سنة إحدى وأربعين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

أسمائِه سبحانه: **الحكيم**؛ يَضعُ الأشياءَ مواضعَها، ويُنزلُها منازلها اللَّائقةَ بها في خلقه وأمره، وحكمتُه بالغةٌ تُعجِز العقولَ عن الإحاطة بِكُنْهِهَا، وتَكِلُّ الألسنُ عن التَّعبير عنها، وبحكمته سبحانه سبَّح له ما في الكون؛ قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

وهو سبحانه حكيمٌ معبودٌ في السَّماء والأرض: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾، حَمِدَ نفسَه؛ لأنه حكيم؛ فقال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾، وأثنى اللَّه على ذاته سبحانه بأنَّ له الكِبْرِياء، وختَمَ الآية بأنَّه حَكِيم: ﴿وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

وله سبحانه جنودٌ في السَّموات والأرض يدبِّرُها كما يشاء وهو الحَكِيم: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، ونادى ربُّنا موسى عليه السلام وعرَّفه بذاته بأنه الحكيم: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

وأثنى اللَّه على كتابه بأنَّه من ربٍّ حكيم يَضعُ كلَّ شيء موضعَه، ويُنزله منازله، فكان كتاباً مُحكَماً مشتمِلاً على تمام الحكمة؛ قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.

وبحكمته سبحانه يَفتحُ الأرزاقَ للنَّاس ويُمسكها: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

والملائكةُ في مَقَام الاعتراف بالعجز وقصور العلم أقرَّت بعلم اللَّه

وحكمته واستسلمت لأمره: ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾، وحَمَلَةُ العرش ومَنْ حولَه يدعون للمؤمنين بالمغفرة وجنَّات النَّعيم، وختموا دعاءهم باسمه سبحانه الحكيم: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

والوَحيُ الذي تنزَّل على الرُّسل مِنْ لَدُنْ حَكيم: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، وكان الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يدعون اللَّه بتحقيق رجائهم وأُمْنِيَّاتهم باسمه سبحانه الحكيم، فدعا إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ربَّه باسمه الحكيم أن يبعثَ إلينا نبيّاً يعلِّمنا القرآن والدِّين: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، وترَك إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ موطنَه وهاجَر إلى اللَّه وقال: إنَّ ربِّي حكيم: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، وطال العُمُرُ بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ولم يُولَد له، فبشَّرت الملائكةُ زوجتَه بولد وهي عجوز عقيم فعَجِبَتْ من ذلك، فقالت لها الملائكة: إنَّ اللَّهَ عليمٌ حكيمٌ: ﴿قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

ويعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مع صَبْرِه وانتظار الفرَج بعدَ فَقْدِ يوسف وأخيه أثبَت علم اللَّه في اختيار الزمان الأمثل لِمَا يرجوه من الفرَج، وأيقَن بحكمة اللَّه في تهيئة الأسباب في تفريج همِّه، فتوجَّه إلى اللَّه برجائِه ودعائِه باسمِه الحَكِيم: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾، وبعد انكشاف الغُمَّة عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد طول

المصائب والمصاعب التي لاقاها تحدَّثَ بنعمة اللَّه وفضله وأثبَت حكمةَ اللَّه في ذلك: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

واسمُه سبحانه الحَكِيم يَتَضَمَّنُ حكمتَه في خلقه وأمرَه في إرادته الدِّينيَّة والكونيَّة، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «بِالعِزَّةِ كَمَالُ القُدْرَةِ، وَبِالحِكْمَةِ كَمَالُ العِلْمِ، وَبِهَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ يَقْضِي سُبْحَانَهُ مَا يَشَاءُ وَيَأْمُرُ وَيَنْهَى وَيُثِيبُ وَيُعَاقِبُ، فَهَاتَانِ الصِّفَتَانِ مَصْدَرُ الخَلْقِ وَالأَمْرِ».

وبحكمتِه سبحانه خلَق المخلوقاتِ كلَّها بأحسنِ نِظَام، ورتَّبها أكملَ ترتيب، أتقَن التَّدبير فيها وأحسن التَّقدير، وأعطى كلَّ مخلوق خلقه اللَّائق به؛ قال تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾، وتحدَّى اللَّه الخلقَ أن يجدوا في خلقه خللاً أو عبثاً: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾.

ولو اجتمعت عقولُ الخَلْق ليقترحوا مثل خَلْقِ الرَّحْمنِ أو ما يقارِبُ ما أودَعَه في الكائنات من الحُسْن والانتظام والإتقان لَعَجَزوا؛ لذا أمَر اللَّهُ الخلقَ بالاكتفاء بالتَّأمُّل فيما أودَع من الحِكَم في مخلوقاته، والاطِّلاع على بعض ما فيها من الحُسْن والإتْقَان؛ فقال: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾.

وبحكمته سبحانه عرَّف عباده بذاته المُقَدَّسَة، وبالإسلامِ وأوامرِه ونواهِيه، وأنزل كتابَه وبيَّن فيه أنه يتوب علينا، وأنَّه لا صلاح لأمورِ

الدُّنيا إلَّا بالدِّين، قال بعض السَّلف: «لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي أَمْرِهِ وَشَرْعِهِ إِلَّا هَذِهِ الحِكْمَةُ العَظِيمَةُ الَّتِي هِيَ أَصْلُ الخَيْرَاتِ وَأَكْمَلُ اللَّذَّاتِ لَكَانَتْ كَافِيَةً شَافِيَةً».

وهو سبحانه حَكيمٌ في أَمْرِه الكوني؛ يبتلي عبادَه بالمكاره لِيُهَذِّبَهُم ويُعْلِيَ درجتَهم، والعبدُ مأمور بالإيمان والرِّضا بأقدار اللَّه وفِعْل الأسباب المشروعة في دفعه، فَيَدْفع أقدارَ اللَّهِ بأقدارِ اللَّهِ، وما لا طاقة له بدفعه - كموت قريب ونحوه -؛ فَيَرضى وَيُسَلِّم، وَيَشْهَدُ عِزَّة اللَّه في حُكْمِه، وعَدْلَه في قضائه، وحكمته في جريانه عليه، وأنَّ ما أصابه لم يكن لِيُخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأنَّ ذلك أوجَبَه عدلُ اللَّه وحكمتُه.

واللَّهُ ﷻ قد يُظهرُ بعضَ حِكَمه لعباده؛ فأخبَر أنَّ الحكمةَ من إنزال القرآن تثبيتُ المؤمنين وهدايةٌ وبِشارةٌ لهم؛ فقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾، وأرسَل الرُّسُلَ لئلَّا يبقى لأحدٍ حجَّة أنه يَجْهَلُ الدِّينَ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾، وأخبَر أنَّ الحكمةَ من ابتلاء النَّاس لِيَعْلَم صِدْقَ المؤمنين وصبرَهم؛ فقال: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، ولِحِكْمةٍ منه سبحانه حجَب علمَ الغيب عن خلقه واختصَّه لنفسه؛ فقال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فاللَّهُ وحدَه له الخلق والأمر، يفعلُ في كونه ما يشاء، وفي شرعه يَحْكُمُ ما يريد، لا يتوجَّه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقالٌ، قال تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾، والعبد مأمور بالتَّعبُّد بمدلول اسم اللَّه الحكيم، وإذا أيقَن بحكمة اللَّه في كلِّ شيءٍ استمتع بخلق اللَّه البديع وَصُنْعِه المتقَن وتفكَّر فيه، وعظَّم شرعَ اللَّه وخاف منه تعالى، واستحيى من خطاياه، واستسلم لأوامره ونواهيه، واشتدَّ فَرَحُه بأن اللَّه هداه لهذا الدِّين لِحِكْمَةٍ أرادها له، وأنَّ الشَّريعةَ جاءت مِنْ لَدُنْ حكيم لإِسْعَاد البشريَّة، وإِنْ نزَل به بلاءٌ رضي بقضاء اللَّه وقَدَرِه وسَلَّم بأنَّ ما قضاه اللَّه له فيه الصَّلاح والخير: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، وأيقن أنَّ وراء ذلك حِكْمَةً لا يُدركُها، وأنه يتقلَّب في نِعَم اللَّه في السَّرَّاء والضَّرَّاء؛ قال ﷺ: «**عَجَباً لِأَمْرِ المُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ**» (رواه مسلم).

فَطِبْ حياةً بما خلَق اللَّهُ وأرادَه شرعاً وكوناً، وفوِّضْ أُمورَكَ للحكيم، فسيُعطيكَ فوقَ ما تتمنَّاه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

عرَّف اللَّهُ عبادَه بعظائم معاني خلقِه وأَمْرِه دونَ دقائِقِها وتفاصيلِها، وما يَخفى على العباد من معاني حكمة اللَّه في صُنْعِه وإبداعه وأمره وشرعه وقضائه وقَدَرِه: يكفيهم فيه معرفتُه بالوجه العامِّ أنْ تضمَّنتْه حكمة بالغة، وإن لم يعرفوا تفاصيلها، وأنَّ ذلك من علم الغيب الذي اسْتَأْثَرَ اللَّهُ به.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

غَضَبُ الرَّبِّ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه تعالى، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّهِ - حقَّ التَّقوى؛ فمَنِ اتَّقى ربَّه نجا، ومَنْ أَعْرَضَ عن ذِكْرِه هوى.

أيُّها المسلمون:

تَعَرَّفَ اللَّهُ إلى خَلْقِه بما جاء في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، وله تعالى المثلُ الأعلى في أسمائه وصفاته، وتَدبُّرُ الصِّفات والتَّعبُّدُ له بها: طريقُ محبَّتِه وجنَّتِه، ووسيلةٌ إلى معاملته بثمراتها من الخوفِ والرَّجاءِ والمَحبَّةِ والتَّوكُّلِ وغيرِ ذلك.

وعقيدةُ سَلَف هذه الأُمَّة: إثباتُ ما نطَق به الكِتَابُ والسُّنَّةُ من أسمائه وصفاته، ومِنْ صِفاتِ اللَّه الموجبة لخشيته والخوف منه سبحانه وتعالى:

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، التاسع من شهر ذي القَعدة، سنة أربعين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

صِفَةُ الغَضَب؛ فاللَّهُ يَغْضَبُ ويَرْضَى لا كأَحَدٍ من الوَرَى، ولكلِّ صفةٍ من صفاته سبحانه أثرُها في الخَلْق، ومن آثار صفة غضب اللَّه: عقوبات الدنيا العامة وبلاؤها؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾؛ أي: هَلَكَ، قال سفيان بن عُيَيْنَة رَحِمَهُ اللَّهُ: «غَضَبُ اللَّهِ الدَّاءُ الَّذِي لَا دَوَاءَ لَهُ».

وسَخطُ اللَّهِ قد يُورِثُ حبوطَ عمل العبد؛ قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾، وإذا غَضِبَ اللَّهُ على قومٍ انتقَم منهم؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ أي: أَغْضَبونا ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالعَذَابُ إِنَّمَا يَنْشَأُ مِنْ صِفَةِ غَضَبِهِ، وَمَا سُعِّرَتِ النَّارُ إِلَّا بِغَضَبِهِ».

عاقَب اللَّهُ به أقواماً وذكر لنا منهم خبراً لِنَحْذرَ ما وقعوا فيه من العصيان، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، وكفَرَ قومٌ بآياتِ اللَّه بعدَ أن جاءتهم فبَاؤُوا بغضَبٍ على غَضَب، وَغَضِبَ اللَّه على قومٍ فمَسَخَهُم، قال ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ غَضِبَ عَلَى سِبْطٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ فَمَسَخَهُمْ دَوَابَّ يَدِبُّونَ فِي الأَرْضِ**» (رواه مسلم).

وما مِنْ نَبيٍّ إلَّا حذَّر قومَه غَضَبَ اللَّه؛ قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

وخافَه ذوو الفِطَر السَّليمة على أنفسهم، خرَج زيدُ بن عمرو بن نُفيل قبل البِعْثَة يَسْأَلُ عن الدِّين، فلَقِيَ عالِماً من اليَهُودِ فسألهم عن

دينِهِم فقال: «لَا تَكُونُ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، قَالَ زَيْدٌ: مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، وَلَا أَحْمِلُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ شَيْئاً أَبَداً، وَأَنَّى أَسْتَطِيعُهُ؟» (رواه البخاري).

والمسلم يَفِرُّ إلى اللَّه راجياً رحمتَه ورضاه ويَخشى غضبَه وسخطَه، والشِّركُ باللَّه أَعْظَمُ ما يُوجبُ غَضَبَ الرَّبِّ وعقابَه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾، والصَّلاةُ عندَ القُبورِ وإليها وسيلةٌ لذلك، قال ﷺ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» (رواه مالك)، ومَنْ نازَع اللَّهَ في صفاته عُوقِبَ بنقيض قصده، قال ﷺ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى رَجُلٍ تَسَمَّى بِمَلِكِ الأَمْلَاكِ**» (رواه أحمد).

واللَّهُ كريمٌ يُحِبُّ من عباده أن يسألوه، وَيَسْخَطُ على مَنِ استكبَرَ عن ذلك؛ قال ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ**» (رواه الترمذي).

والكفرُ لا يُحبُّه اللَّه ولا يرضاه، وإذا اقترفه العبدُ غَضِبَ عليه؛ قال ﷻ: ﴿مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾.

وصلاحُ المجتمعِ في صلاح الباطن والظَّاهر، ومَنْ أَبْطَنَ سوءاً وأَظْهَر خِلَافَه فقد ساء ظنُّه باللَّه ولحقه غضبُه؛ قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا﴾.

والرُّسلُ ﵈ صَفْوَةُ الخلق، ومَنْ آذاهُم استحقَّ أشدَّ الغضب من

اللَّه؛ قال ﷺ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ دَمَّوْا وَجْهَ نَبِيِّ اللَّهِ**» (رواه البخاري)، ومِنْ أَشْقَى الخلْق: مَنْ قَتَلَه نبيٌّ، قال ﷺ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ**» (متفق عليه).

ومَنْ أغضَب أولياءَ اللَّه والصَّالحينَ مِنْ عِبَادِه غَضِبَ اللَّهُ عليه، قال ﷺ: «**لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ** - يَعْنِي: نَفَراً مِنَ الصَّحَابَةِ - **لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ**» (رواه مسلم).

والجزعُ عند المصائب لا يَرُدُّ قَدَراً، وجزاءُ صاحبِه مِنْ جنس فعله، قال ﷺ: «**وَمَنْ سَخِطَ** - أَيْ: عَلَى القَدَرِ - **فَلَهُ السُّخْطُ**» (رواه الترمذي).

والصَّدُّ عن اللَّه بقولٍ أو عملٍ مُوجِبٌ لعقوبة اللَّه؛ قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ وَلَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾، قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: «جَادَلُوا المُؤْمِنِينَ بَعْدَ مَا اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ؛ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ الهُدَى، وَطَمِعُوا أَنْ تَعُودَ الجَاهِلِيَّةُ».

ومَنْ لم يعملْ بما عَلِمَ فهو من المغضوب عليهم - الذين أُمِرَ المسلمون بالدُّعاء في كل ركعة أن يُجنِّبَهم اللَّهُ طريقَهم -، واللَّهُ عظَّم حقَّ الوالدين لِعظيم قدرِهما، وجَعَل رضاه في رضاهما، وسَخَطَه في سَخَطِهما، قال عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما: «رِضَى الرَّبِّ فِي رِضَى الوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الوَالِدِ» (رواه الترمذي).

والمُسلمُ معصومُ الدَّم، وَمَنْ قتَل مسلماً بَاءَ بغضبِ اللَّه ولَعْنَتِه؛ قال ﷻ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.

وأموالُ المسلمين مَصُونَة، ومَنِ اعْتَدَى على مالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ استحقَّ الوعيدَ الشَّديدَ؛ قال ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ - أَيْ: مُتَعَمِّداً - يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ؛ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ» (متفق عليه).

وإذا لَاعَنَتِ المرأةُ زوجَها - وهي كاذبة - لَمْ تَزَلْ في غضب اللَّه؛ قال تعالى: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

وَمَنْ أعانَ على ظُلْمٍ غَضِبَ اللَّهُ عليه؛ قال ﷺ: «مَنْ أَعَانَ عَلَى خُصُومَةٍ بِظُلْمٍ - أَوْ: يُعِينُ عَلَى ظُلْمٍ -؛ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ» (رواه ابن ماجه).

واللِّسانُ من موازين العباد، وكلمةٌ قد تكونُ سببَ فَلَاحِ العبد أو هلاكه؛ قال ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ» (رواه الترمذي).

والفِرارُ من الزَّحْفِ عند لقاء العدوِّ مُوجِبٌ لغضب اللَّه؛ قال سبحانه: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وحَقُّ النِّعمةِ الشُّكرُ، والبَطرُ فيها ونسيانُ المُنْعِم عقوبتُه مُعجَّلَة؛ قال سبحانه: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾، ومن أتى ما يُوجِبُ غضبَ اللَّه وجَب بُغْضُه وحَرُمَ تولِّيه؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.

وعلى العباد أن يعملوا لِمَا بعد الموت ويَستعِدُّوا له؛ فإنَّ أشدَّ غَضَبِ اللَّه على العباد في المَحْشَر؛ لذا يقول الأنبياء عليهم السلام - آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى - في ذلك الموقف العظيم: «**إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**» (متفق عليه).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فاللَّهُ قويٌّ متينٌ، وقد حذَّر عبادَه من سَخَطِه؛ قال سبحانه: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾، وعلى العباد أن لا يغتروا بحِلْم اللَّه عليهم؛ فهو سبحانه إِنْ غَضِبَ وأَذِنَ بالعقوبة فلا رادَّ لِمَا قضاه، وإذا عمل العباد المعاصيَ وأغدق عليهم النعمَ فهو من استدراج اللَّه لهم؛ قال سبحانه: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾، وإن عادَ العبادُ إلى ربهم فتَح لهم أبوابَ التَّوبةِ والخيرات ورضي عنهم.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيما لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

الطَّاعة جالبةٌ لرِضَا الرَّحْمَن، وبها يَنال العبدُ رحمتَه؛ قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾، ومِنْ سَعَة رَحْمَة اللَّه أنَّها تَسْبِق غَضَبَه؛ قال ﷺ: «**إنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَاباً قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ: إنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ**» (رواه البخاري).

والتَّعوُّذُ مِنْ غَضَب اللَّه مانعٌ منه بإذنه تعالى، ومِنْ دُعاء النَّبيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ**» (رواه مسلم)، والمُسلمُ الفَطِنُ يسعى لتحقيق رضا اللَّه، ويمنعُ نفسَه عما يُغضِبُ اللَّهَ.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

فِهْرِسُ المَوْضُوعَاتِ

دار الدليقان للتوزيع
لطب الكميات ٠٥٦٤٤٤٨٤٥٤



سلسلة من خطب المسجد النبوي













ردمك: ٨-٠٨٤٩-٠٤-٦٠٣-٩٧٨